جـامعـة محمـد خيضــر بسكـرة
كليــة العلـوم الإنسـانية والاجتمــاعية
قســـــم العلـــوم الإنســـــانية

مذكـــرة

ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية
فرع التاريخ
تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

رقم : .....

إعداد الطالبتين:
مريم جاب الله
خيرة بديرينة

يوم: ..19-06-2023...

الدراسات الأنثروبولوجية الفرنسية الاستعمارية في الجزائر خلال القرن 19م وبدايات القرن 20م

لجنة المناقشة:

شلبي شهرزاد	أ.مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيس
توريريت مصطفى	أ.مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرف
براهمي نصيرة	أ.مح ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقش

السنة الجامعية :2023/2022م

الشكر والعرفان

نحمد الله الرفيق لكل لحظات التعب عارف النوايا ومستجيب الدعوات والذي بفضله تتم الصالحات من الأعمال نتوجه بالشكر الكبير لأستاذنا الفاضل الدكتور"توريريت مصطفى" على الأفكار النيرة وعلى التوجيهات السديدة والدعم وعلى صبره معنا في مراحل انجاز هذه المذكرة

كما نشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة.

الإهداء

إلى من أفتخر بارتباط اسمي به إلى روح أبي الغالي رحمه الله

إلى نبع الحنان من تعبت وسهرت حتى صرت ما أنا عليه الآن والدتي الغالية أطال الله في عمرها

إلى أنوار حياتي من لا يحلوا العيش بدونهم أخوتي الأعزاء

وإلى أختي التي لم تلدها أمي صديقتي مريم وإلى أعز وأحب الخلق صديقتي أصالة

وإلى كل من ذكره قلبي ونساه القلم

إليهم جمعيا أهدي ثمرة جهدي وعطائي

الإهداء

الحمد الله الذي وفقني لتثمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية بهذه المذكرة وثمرة الجهد والنجاح

أهديها إلى الوالدين الكريمين أمي الكريمة أطال الله في عمرها وإلى أبي الغالي حفظه الله ورعاه كانا لي نعم المعين

أهدي هذا العمل لكل العائلة الكريمة من أخوة وأخوات وإلى الأقارب الذين كانوا خير سند لي

وإلى صديقاتي أصالة وخيرة ومريم الذين كانوا عون لي خير.

مقدمة

تعد الأنثربولوجيا حقولا دراسية اجتماعية تاريخية ثقافية، كونها علما مهما وأساسيا يؤهل الباحث إلى إقامة حوار مع الذات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الإيديولوجية والعقائدية حيث ارتبطت نشأة الأنثروبولوجيا وبداياتها التاريخية منذ عصر التنوير بدراسات حركية ثقافية كولونيالية عالمية احتضنت علما حديثا جسدت من خلاله منظومة الاستعمار المعنوي إذ أن هذه الدراسات كانت تتم على المجتمعات الغير المتحضرة بهدف معرفة بنيتها التركيبية وطبيعتها الثقافية، فأصبحت الأنثروبولوجيا أداة استعمارية بامتياز هدفها تسهيل مهمة الاستعمار في السيطرة، الأمر الذي نجحت فيه فرنسا على أرض الجزائر، إذ سخرت أولى إرهاصات التطورية الكولونيالية عبر أولى سقف الحملة الفرنسية من عسكريين ومدنيين إلى الأكاديمية العلمية المتخصصة في دراسة علم الإنسان، حيث بدأ الاهتمام بمعرفة أوضاع وأحوال المحليين ومالهم من قوة دفاعية ومن تنظيم سياسي واجتماعي ومن معتقدات دينية ومن ممارسات يومية ومن ثقافة بصفة عامة حتى يتمكن المستعمر الفرنسي من وضع خطط عسكرية لاحتلال مختلف الجهات، وبهذا أصبحوا في طليعة المهتمين بهذه البحوث والدراسات الأنثروبولوجية تنفيذا للخطة المسطرة التي غايتها التغلغل في المجتمع الجزائري من خلال المعايشة وتحليل الذهنيات وتعرض للنفسية والمعتقد، من هذا انبثق موضوعنا الموسوم ب"الدراسات الأنثروبولوجية الفرنسية الاستعمارية في الجزائر خلال القرن 19م وبدايات القرن20م"، ولقد كان اختيارنا لموضوعنا من رصيد أفكارنا من خلال مادرسناه في محطاتنا الدراسية.

ومن أسباب اختيار الموضوع :

الأسباب ذاتية: الميل الخاص لمعالجة مثل هذه المواضيع التي تستهوينا شخصيا المتعلقة بتاريخ الجزائر الثقافي في الفترة المعاصرة .

الأسباب الموضوعية: رؤية وتحري المواضيع المهملة من قبل الباحثين في التاريخ الثقافي المحلي الجزائري والرغبة في تطرق إلى الأمور التي لا تزال بأمس الحاجة للبحث، كذلك التعرض لسياسة الاستعمارية المطبقة في الجزائر من منظور ثقافي .

ومن الأهداف التي تسعى إليها الدراسة:

النظر في اجتهادات الانثربولوجيين الفرنسيين واهتماماتهم بالشخصية الجزائرية من جهة ومن جهة أخرى النظر في مواقفهم اتجاه المجتمع الجزائري وغربلة أهدافهم مهما كانت تخدم الغرض الاستعماري بالإضافة إلى إبراز الترابط النشاط التاريخي والحركة الاستعمارية مجسدا في أهداف المشروع الانثربولوجي، هذا ما جعلنا نطرح الإشكالية التالية: **كيف وظف الاستعمار الفرنسي الأبحاث الأنثروبولوجية في خدمة أطماعه الاستعمارية ؟**

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- كيف يتم استخدام هذا العلم كسلاح لخدمة الغرض الاستعماري؟
- ما هي إرهاصات الانثربولوجيا الاستعمارية في الجزائر؟
- فيما تمثلت الدراسات الانثربولوجية الثقافية في الجزائر؟
- ما مساعي المشروع الانثربولوجي وما هي أبعاده؟

إن الموضوع الذي قمنا بمعالجته من حيث نوعية وطبيعة المعلومات فرض علينا استخدام مناهج التالية :

المنهج التاريخي : يعالج الأحداث التاريخية وترتيبيها الزمني .

المنهج الوصفي :حيث احتوت الدراسة مجموعة من النماذج الأثنوغرافية في منطقة القبائل ومنطقة الاوراس ومنطقة الصحراء تضمنت وصفا للعادات والتقاليد والمعتقدات والبنية الاجتماعية والمناطق السكانية .

وقد قسمنا خطة دراستنا إلى: مقدمة وثلاث فصول يندرج ضمنها ستة مباحث، إضافة إلى خاتمة وملاحق وقائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات سنأتي على ذكرهم بتفصيل:

جاء الفصل الأول بعنوان رؤية عامة حول الأنثربولوجيا والظاهرة الاستعمارية واحتوى على تعريف بعلم الانثربولوجيا ونشأته وتطوريه عبر العصور التاريخية، ثم عالجنا الاستخدام الاستعماري لهذا العلم الحديث كأداة لخدمة مشاريعه الإستطانية الاحتلالية.

أما الفصل الثاني فقد عنوناه بالأنثربولوجيا الاستعمارية بالجزائر النشأة والتطور وانقسم إلى مبحثين، المبحث الأول تضمن نشأة الانثربولوجيا الاستعمارية بالجزائر وبدايتها فتطرقنا فيه لحالة المجتمع الجزائري قبل الاستعمار الفرنسي من خلال الكتابات الغربية للرحالة الفرنسيين ووصف للحياة الاجتماعية والثقافية خلال العهد العثماني، بعد ذلك تطرقنا إلى الانثربولوجيا الكولونيالية مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر عام1830م، أما المبحث الثاني فعالجنا فيه مجموعة من الدراسات الانثروبولوجية الاثنوغرافية الفرنسية التي أجريت على منطقة القبائل ومنطقة الأوراس ومنطقة الصحراء .

والفصل الثالث المعنون بأهداف مشروع الانثربولوجي الذي شمل مبحثين حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى إستراتيجية هذا المشروع المطبقة على الهوية الجزائرية من طمس الدين الإسلامي وتقليل من قيمة اللغة العربية وتشكيك في الأصول العرقية للجزائريين ،أما المبحث الثاني فاحتوى على أبعاد المشروع الأنثربولوجي المطبق على الجزائريين من خلق وإثارة النزعة البربرية بين القبائل والعرب، وكذلك محاولة نفي الدور الحضاري للمنطقة .

اختتمنا دراستنا هذه بمجموعة من الاستنتاجات التي شملت فصول الدراسة الثلاث. وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر والمراجع منها :

المصادر: ومن بين المصادر التي اعتمدنا عليها كتاب "الحريم وأبناء العم" للباحثة الأنثروبولوجية "جرمان تيون" الذي استخدمناه كدراسة أثنوغرافية لمنطقة الأوراس بإضافة إلى مصادر أجنبية استخدمت كنماذج عن الدراسات الانثربولوجية الفرنسية في الجزائر منها Le Général daumas ,Moeurset Coutumes de l'algérie.وهو كتاب وظفناه في دراستنا لعادات وتقاليد منطقة القبائل ووصف للحياة الاجتماعية فيها، وفي نفس السياق اعتمدنا على كتاب الجنرال كاريت الذي جاء عنوانه باسم (دراسة عن منطقة القبائل "الإستكشاف العلمي بالجزائر") واستخدمنا النسخة الأصلية Carette études sur la kabilie ,Exploration scientifique de l'algrie. بالإضافة إلى العديد من المصادر الأجنبية التي استخدمناها في ذات السياق.

كما اعتمدنا على المجلة الإفريقية في أعدادها الأولى كونها تحتوي على العديد من كتابات المؤرخين الفرنسيين الذين كانت اهتماماتهم منصبة على المجتمع الجزائري من معتقدات وعادات وتقاليد ونظم اجتماعية وطريقة المعيشة في العديد من المناطق خاصة منطقة القبائل، أما المصادر العربية كأي دراسة خاصة بتاريخ الجزائر الثقافي في الفترة الاستعمارية استلزم علينا الاعتماد على كتب الدكتور أبو قاسم سعدالله منها كتاب تاريخ الجزائر الثقافي.

المراجع: وقد اعتمدنا على العديد من المراجع لتسليط الضوء أكثر على دراستنا من بينهم كتاب "مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا" للكاتب عيسى الشماس الذي استخدمناه في تعريف علم الأنثروبولوجيا ونشأته وعلاقته بالاستعمار الحديث عامة والجزائر خاصة، بالإضافة إلى كتاب صورة الجزائر في عيون الرحالة والكتابة الغربية ل"بوعلي حفناوي" الذي تم توظيفه في الدراسات الرحالة والكتابات الغربية، كما اعتمدنا كذلك على كتاب "بشير بلاح "تاريخ الجزائر المعاصر الذي تناولنا فيه سياسة الاستعمارية الفرنسية الجائرة المطبقة على الجزائر.

وفي هذا الموضوع وقفنا على العديد من الدراسات السابقة التي وضحت بشكل أشمل موضوعنا الذي ندرسه من بين هذه الدراسات : دراسة امحمد صدوقي، في النشاطات التاريخية والأثرية الفرنسية في الجزائر ودورها في تجسيد المشروع الاستعماري (1830م.1930م) وهي دراسة قام الأستاذ المشرف بإعطائها لنا والتي اتخذناها كمرجعية لتسليط الضوء أكثر لفهم موضوعنا، بالإضافة إلى مذكرة ماجيستير دراسة غرينة عبد النور، الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية (1540م.1939م) التي أعطتنا مجموعة من نماذج عن الدراسات الأنثروبولوجية في منطقة الأوراس.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في موضوعنا هذا صعوبة الحصول على بعض المصادر الأجنبية والمراجع الأجنبية وعدم توفرها وذلك لأن طبيعة موضوعنا تستلزم توظيف هذه المصادر مما جعل معظم الكتب الهامة فرنسية التي حالت بيننا وبين طموحات بحثنا وتحرينا، كما كانت الترجمة عائق مضني والتعمق البحثي في المصادر والمراجع الأجنبية.

أما العقبة الثانية صعوبة المصطلحات دخيلة في تخصصنا كالفرق بين الأنثربولوجيا والأثنوغرافيا والأثنولوجيا وعلاقتها بالتاريخ .

الفصل الأول:

رؤية عامة حول الأنثروبولوجيا والظاهرة الاستعمارية.

تمهيد.

المبحث الأول: نبذة تاريخية حول الأنثروبولوجيا.

المطلب الأول: علم الأنثروبولوجيا

المطلب الثاني: نشأة الأنثروبولوجيا

المبحث الثاني: الأنثربولوجيا والظاهرة الاستعمارية.

المطلب الأول: إرهاصات الأنثروبولوجيا الاستعمارية

المطلب الثاني: أطماع الأنثروبولوجيا الاستعمارية

كثير من الباحثين والمفكرين يربطون نشأة علم الإنسان ووجوده كعلم وتخصص قائم بذاته بالفترة الاستعمارية الحديثة، وباعتبار الأنثروبولوجيا أحد أهم وأثرى العلوم المساعدة للتاريخ الأمر الذي جعلنا نبحث عن العلاقة والترابط بينه وبين التاريخ، وعلى وجه الخصوص التاريخ المعاصر متمثلا في الظاهرة الاستعمارية خلال القرن 19م، وعلاقتها النفعية من خلال الدور الخطير الذي لعبته البحوث والدراسات الأنثروبولوجية كسياسة صامتة انعكست سلبا على المجتمعات المستعمرة خاصة المجتمع الجزائري .

المبحث الأول: نبذة تاريخية حول الأنثروبولوجيا

المطلب الأول: علم الأنثروبولوجيا

إن هذا الكائن الفريد الذي اسمه الإنسان كان دائما ولا يزال موضع التأمل والدراسة من قبل كثير من العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء، فمنذ قديم الزمان لاحظ الإنسان بصفة عامة بصفة عامة الفروق قائمة بين شعوب الجنس البشري، واهتم بمعرفة خصائصه وتفسير الاختلافات، وفي إطار هذا الاهتمام والتساؤل تطورت خلال العصور وتبلورت بنشأة فرع جديد من فروع المعرفة اصطلح عليه تسمية الأنثروبولوجيا.[1]

الأنثروبولوجيا هي كلمة إنجليزية مشتقة من الأصل اليوناني ،وتنقسم كلمة Anthropology إلى قسمين: أنثربوس Anthropos ويعني الإنسان ولوغوس Logos يعني علم ،ومن هنا يمكن القول أنه علم يصف الخصائص الإنسانية والبيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الزمن وفي سائر الأماكن[2]، كما تعرف الأنثروبولوجيا بأنها "**علم الأناسة**" العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة ومن جهة أخرى أنه النوع الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها الذي يصنع الثقافة ويبدعها والمخلوق الذي يتميز عنها

[1] حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا (فصول في تاريخ علم الإنسان)، دار علم المعرفة، د.ط، الكويت، 1986م، ص13.

[2] بوقرين عيسى، قراءة تاريخية نقدية في الدراسات الأنثروبولوجية الاستعمارية، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد 17، العدد01، الجزائر، جانفي م2021، ص787.

جميعا، كما تعرف الأنثروبولوجيا كذلك بصورة مختصرة وشاملة بأنها "**علم دراسة الإنسان طبيعيا وإجتماعيا وحضاريا**".[1]

فعلم الأناسة يركز اهتمامه مع كائن واحد "الإنسان" ويحاول فهم جميع أنواع الظاهرات التي تؤثر فيه، وكان علم الأنثروبولوجيا ولا يزال يحاول فهم كل ما يمكن أن يعرف عن طبيعة هذا المخلوق الغريب الذي يسير على قدمين وكذلك فهم سلوكه الذي يفوق طبيعته الجسمية غرابة، وتعتبر أول علم من سلسلة العلوم التركيبية التي أخذت الحاجة إليها يزداد وضوحا يوم بعد يوما[2].

وفي هذا الصدد كتبت الباحثة الأنثروبولوجيا الأمريكية الشهيرة مارغريت ميد M.Meed[3](1901م-1979م) قائلة: "**نحن نصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، وتحلل الصفات البيولوجية والثقافية والمحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما يهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجيا، ونعني أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان، وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته. وبصفة عامة نحن الأنثروبولوجيين نسعى لربط وتفسير نتائج دراساتنا في إطار نظريات التطور، أو مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر.إن تخصصات الأنثروبولوجيا التي قد تتضارب مع بعضها، هي في ذاتها مبعث الحركة والتطور في هذا العلم الجديد...إلخ**"[4].

---

[1] عيسى شماس، مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا، منشورات إتحاد الكتاب العربي، د.ط، دمشق، 2004 م، ص14.

[2] رالف لنتون، الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، ترجمة عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية صيد، د.ط، بيروت، 1967م، ص14،15.

[3] مارغريت ميد : عالمة الإنسان الأمريكية التي قضت حياتها في دراسة الشعوب، ولدت في16كانون1901م في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، ينظر: مبروك بوطقوقة، مارغريت ميد، متوفر على الرابط: https://www.aranthropos.com تاريخ النشر2021م، تاريخ الإطلاع 2جانفي2023م، وقت الإطلاع 12:20.

[4] حسين فهيم، المرجع السابق، ص 14

إن الشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية جميعها تطلق على علم الأنثروبولوجيا علم الإنسان وأعماله، حيث يطلق المصطلح ذاته في البلدان الأوروبية غير الناطقة باللغة الإنجليزية دراسة الخصائص الجسمية للإنسان، أما الأمريكيين يستخدمون مصطلح (الأنثولوجيا والأثنوغرافيا) لوصف الاثنوجرافيا[1] الثقافية والتي يطلق عليها البريطانيين الأنثروبولوجيا الاجتماعية[2].

كما أن الأنثروبولوجيا تفرعت وفق هذه المعطيات والاهتمامات إلى عدة فروع تعمل كل واحدة منها في اتجاه معين لتدرس جانب من جوانب الحياة الإنسانية المختلفة فالأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيقية هي مجال في الأنثروبولوجيا يحاول أن يبحث في أصل الإنسان باعتباره نوعا ينتمي إلى الجنس البشري، والبحث كذلك في الطبيعة وفي مفهوم التطور والأسباب والعلل التي تتحكم في الاختلافات البيولوجية عند الإنسان ومقارنته بالأنواع الأخرى والخوض في طبيعة وتطور أعضاء الجسد الإنساني وتغيره وفق التراكم الزمني. والأنثروبولوجيا البيولوجية تدرس الجانب العضوي للإنسان وتطوره الجسدي من حيث الخصائص واللون و الوراثة[3].

تدرس الأنثروبولوجيا الثقافية أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها وتتبع نموها وتطورها وتدرس بناء الثقافات البشرية، وأدائها لوظائفها في كل مكان وزمان، فهي تهتم بالثقافة في ذاتها سواء كانت ثقافة أسلافنا أبناء العصر الحجري أو ثقافة أبناء المجتمعات الحضرية المعاصرة في أوروبا وأمريكا[4]، ومن أشهر أقطاب هذه النزعة التي

---

[1] الأثنوغرافيا: هي دراسة وصفية لأنشطة جماعة إنسانية معينة سواء أكانت جماعة بدائية تقليدية أم جماعة معاصرة ومتمدنة، ينظر :مبروك بوطقوقة، مقومات البحث الأثنوغرافي، متوفر على الرابط : https://www.aranthropos.com .تاريخ النشر2023م، تاريخ الإطلاع20جانفي 2023م، وقت الإطلاع20:30

[2] عيسى الشماس، المرجع السابق، ص15.

[3] مازن مرسول محمد، الأنثروبولوجيا نحو أناسة ممنهجة، مجلة الأنثروبولوجيا، المجلد 2015، العدد 01، العراق، 2015 م، ص114.

[4] محمد الجوهري، علياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، د.د.ن، القاهرة، 2007 م، ص35.

سميت بالنزعة الثقافية وكذلك بالدراسات الثقافية والشخصية هم"مرغريت ميد"، و"بنديكيت"[1]، "رالف لينتون"، "كاردينار"، إلا أن هذه النزعة وقعت في سلبيات أثناء تصنيفها لمختلف الثقافات وعلى رأس هذه السلبيات التمييز العنصري بين المجتمعات وعلى سبيل المثال: قسمت "روث بنديكت" المجتمعات إلى نوعين: مجتمع أبولوني يمتاز بالعقلانية ومجتمع ديونوزيوس يمتاز بالكسل واللهو [2]، ويمكن أن تكون دراسة الأنثروبولوجيا الثقافية إلى جانبين: الجانب الأول هو الدراسة المتزامنة أو في زمن واحد وتكون على شكل دراسة المجتمعات والأمم في جانب معين من تاريخها، أما الجانب الآخر هو الدراسة التتبعية وهي دراسة الثقافات والمجتمعات عبر التاريخ[3].

ويقوم عالم الآثار بهذه الدراسة التتبعية وبذلك يسهم بنصيب أساسي في إثراء معرفتنا بتاريخ الثقافات وتطورها، فمنه نعلم أين و متى اكتسب الإنسان الثقافة لأول مرة ونقف على جانب من تاريخ الثقافات الشعوب وأساليب تعاقب نمط ثقافي بعد آخر في مختلف أجزاء العالم[4].

ويمكن القول بأن الأنثروبولوجيا تبدأ حيث ينتهي علم الآثار[5]، كما أن الأنثروبولوجيا الثقافية لا تستطيع الحصول على هذه التوصيفات الثقافية إلا بفضل الأثنوجرافيا التي تمثل وصفا مفصلا للثقافة معينة، يستند في المقام الأول على العمل الميداني. والسمة المميزة للعمل الأثنوغرافي هو المشاركة الاجتماعية والملاحظة الشخصية داخل المجتمع قيد الدراسة، بالإضافة أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالأثنولوجيا التي تساهم في إجراء مقارنات

---

[1] روث بندكيت: هي عالمة أنثروبولوجيا، انخرطت عام 1922م في الأعمال الميدانية المكثفة التي عززت آرائها في مجال الأنثروبولوجيا بدءا من رحلتها إلى كاليفونيا لإجراء دراسة أثنوغرافية، ينظر: معتز عبد المجيد، روث بندكيت، متوفر على الرابط: https://www.bibalex.org تاريخ النشر25اغسطس2016م، تاريخ الإطلاع15جانفي2023، ساعة الإطلاع14:22.

[2] مصطفى تيلوين، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، دار الفرابي، لبنان، 2011م، ص35.

[3] محمد الجوهري، علياء شكري، المرجع السابق، ص35.

[4] المرجع نفسه، ص37.

[5] المرجع نفسه، ص39.

منهجية بين جميع الثقافات في جميع أنحاء العالم[1]، سواء في القارات الشاسعة أو في الصحاري وغابات إفريقيا وكذلك دراسة الثقافات البدائية بحيث يهتم بالثقافة كظاهرة مميزة للبشر في كل مكان، وليس بثقافات مجتمع معين أو مجموعة من المجتمعات[2]، كما تسمح لعلماء الأنثروبولوجيا بتطوير النظريات الأنثروبولوجيا التي تساعد على تفسير لماذا تحدث بعض الاختلافات أو التشابهات المهمة بين الجماعات[3].

المطلب الثاني: نشأة الأنثروبولوجيا

لاشك أن دراسة الإنسان بمختلف مظاهره كانت قديمة عند الإغريق والرومان حتى عند الصينيين والعرب المسلمين، لكن بمفهومها الحديث يجمع مختلف علماء الأنثروبولوجيا إلى أن عصر النهضة في أوروبا بداية من النصف الثاني من القرن الخامس عشر، وبداية القرن السادس عشر كانت الانطلاقة الفعلية لهذا العلم لاستكشاف مناطق أخرى كانت إلى ذلك الوقت مجهولة لديهم، خاصة في قارتي إفريقيا وآسيا ثم العالم الجديد، ارتبط بالأساس يظاهرة الكشوفات الجغرافية التي انطلقت من أوروبا حيث انتقلت دراسة الإنسان من مرحلة المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي[4]، متمثلا في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية والذي تبلور وتكامل في القرن السابع عشر[5]، وذلك من خلال الانتقال من القراءة في ما كتبه الإغريق والرومان والعرب المسلمين والاستفادة من هذه المعارف، عن طريق الاحتكاك المباشر بهذه الشعوب ومعاينتها عن قرب حيث وصف الأوروبيون القبائل والشعوب المحلية في إفريقيا وآسيا وأمريكا من حيث عاداتهم وتقاليدهم وأنماط معيشتهم وكل ما يتصل بثقافاتهم المادية المختلفة وذلك حتى تسهل السيطرة على مناطقهم[6].

---

[1] مازن مرسول محمد، المرجع السابق، ص177.

[2] محمد الجوهري، علياء شكري، المرجع السابق، ص38.

[3] مازن مرسول محمد، المرجع السابق، ص177.

[4] بوقرين عيسى، المرجع السابق، ص788.

[5] عيسى شماس، المرجع السابق، ص28.

[6] بوقرين عيسى، المرجع السابق، ص788.

ولعل أبرز الرحلات الاستكشافية والتي أثرت في علم الأنثروبولوجيا ما قام به كريستوف كولومبوس[1] إلى القارة الأمريكية، حيث زخرت مذكراته عن مشاهداته واحتكاكاته بسكان العالم الجديد بالكثير من المعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم اتسمت بالموضوعية نتيجة المشاهدة المباشرة[2]، تلعب المقارنة دورا جوهريا في الوصول إلى فهم أفضل ذلك التداخل المشترك على مر العصور، من خلال العودة بالزمن إلى الوراء لتكوين منظور حول كيفية إدراك الاختلاف الثقافي وحالات سوء الفهم، قد نكتشف أن علماء الإثنوجرافيا الأوائل هم من الرحالة القدماء[3]، وهكذا كانت رحلات كولومبوس واكتشافه العالم الجديد عام 1492م لها أثر كبير في إدخال أوروبا حقبة جديدة وفي تغير النظرة إلى الإنسان عامة و الإنسان الأوروبي خاصة مما أثر بالتالي في الفكر الأنثروبولوجي[4].

فمنذ القرن 16م حتى النصف الأول من القرن 19م، كان التجار والإداريون، البحارة والمبشرون يقومون بإمداد الغرب بالمعلومات عن تلك الشعوب الأجنبية قد ظلت الأبحاث لفترة طويلة مجالا للوصف وجمع المعلومات الخام، حتى اتضح أن التاريخ والأنثروبولوجيا مجالان متكاملان ومتداخلان إلى حد ما، إذ لم يتمكن الأنثروبولوجي من الاستغناء عن تاريخ الشعوب، وفي المقابل لم يتمكن المؤرخ من الوقوف على حقائق دون الاستعانة بمعلومات الأنثروبولوجيا[5]، وكان دارسو الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية الأوائل

---

[1] كريستوف كولومبوس: هو رحالة إيطالي الجنسية ولد في مدينة جنوة ودرس في جامعة بافيا العلوم الطبيعية والرياضيات وفي سنة 1498م إكتشف أمريكا الشمالية في رحلة قام بها عبر المحيط الأطلسي حتى وصل إلى جزر الكاريبي، ينظر: أمل عدنان، من هو كولومبوس، متوفر على الرابط: https://mawdoo3.com ،تاريخ النشر11أغسطس2016، تاريخ الإطلاع11فيفري 2023، وقت الإطلاع22:00 .

[2] عيسى الشماس، المرجع السابق، ص28.

[3] لورا نادر، الثقافة والكرامة حوار بين الشرق الأوسط والغرب، ترجمة آيات عفيفي، مؤسسة هنداوي، د.ب، 2015م ص15.

[4] عيسى الشماس، المرجع السابق، ص29.

[5] بوحسون العربي، بين التاريخ والأنثروبولوجيا–دراسة في الأنثروبولوجيا الإستعمارية–، مجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، العدد 2، الجزائر، 2010م، ص163.

يركزون اهتمامهم في الماضي على المجتمعات والثقافات التي تعرف باسم البدائية، كتلك التي نجدها عند الهنود الحمر الأمريكيين وسكان أستراليا الأصليين وشعوب جنوب المحيط الهادي[1]، كما أن الإيديولوجيات والمواقف الهادفة للمستفيد الأوروبي لذلك ظلت الوقائع والأحداث أشبه بالروايات والطرائف الغير موثقة، هذا أصعب من مهمة كتابة التاريخ والدراسات التاريخية وإذا حاولنا الوقوف على تاريخ الأنثروبولوجيا فإن التراث المعرفي يضع الفيلسوف اليوناني هيردوت425ق.م في صلب بدايات المعرفة عن المجتمعات الأخرى، فعندما نتبع حقيقة الأنثروبولوجيا نجده عبارة عن تصوير لمراحل وجدت في أوروبا بصفتها الطرف المهيمن والشعوب الأخرى بصفتها الشعوب البدائية[2].

أظهرت الاكتشافات الجغرافية الاجتماعية وما تبعها من معرفة سكان هذه الأرض لميزاتهم وأنماط حياتهم أظهرت بوضوح تنوع الجنس البشري، وأثارت كثيرا من المسائل والدراسات حول قضايا النشوء والتطور[3].

إن كلمة أنثروبولوجيا في حد ذاتها ظهرت في أوروبا في كتابات علماء الطبيعة خلال القرن الثامن عشروتعني دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان، وقد يكون عالم الطبيعة الألماني "جوهان بلومينياخ" أول من أدخل كلمة الأنثروبولوجيا في منهج تدريس التاريخ الطبيعي بالمقررات الجامعية كما استخدمه في الطبعة الثالثة من كتابه الذي صدر سنة 1975 بعنوان " **عن التنوعات الطبيعية الجوهرية بين البشر**"، وكذلك العالم الألماني إيمانويل كانت والذي أشاع هذا المصطلح خاصة بعد صدور كتابه"**الأنثروبولوجيا من منظور علمي**" حيث كان مهتما بقراءة مدونات الرحالة ودرس موضوع تصنيف السلالات[4].

[1] محمد الخطيب، النظرية الأنثروبولوجية، دار رسلان، د.ط، د.ب، 2021م، ص12.

[2] بوحسون العربي، المرجع السابق، ص164.

[3] عيسى الشماس، المرجع السابق، ص29.

[4] حسين فهيم، المرجع السابق، ص15.

كما انطلق الرحالة والمغامرون بدعم من الجمعيات الجغرافية خاصة في لندن وباريس إلى مختلف المناطق خاصة في إفريقيا ولعل أبرز الرحلات التي أسهمت بشكل كبير في هذا العلم، وأفادت كثيرا الحركة الإستعمارية رحلة مانغو بارك في نهاية القرن18م وبداية القرن 19م، وفريديريك كيليو(1820-1818) ثم رحلة روفي كايبي(1824-1828) كثير هذه الرحلات التي قدمت معلومات جد هامة عن الشعوب الإفريقية كانت من أبرز عوامل التوغل فيها[1]، وإن الأنثروبولوجيا المتحررة التي ظهرت اتجاهاتها وقضاياها الإنسانية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية نجد ولا شك في الكتابات الفرنسية في عصر التنوير جذورا وأصولا نظرية لمنطلقاتها الفكرية[2]، كما أن الفكر الأنثروبولوجي الذي ساد في أوروبا في عصر التنوير وتجلى في كتابات العديد من الفلاسفة والباحثين والمؤرخين، شكل الملامح النظرية الأولى لهذا العلم الذي بدأ يستقل بذاته مع بدايات القرن20م ويتبلور بمنطلقاته وأهدافه في النصف الثاني من القرن ذاته[3].

شهد القرن 19م تطورا في الاهتمام بالأثنولوجيا في فرنسا بالموازاة مع التطورات الأخرى في أمكنة أخرى في أوروبا والولايات المتحدة، فقد تميزت باهتمامها بالشعوب الغير الأوروبية وارتبطت بالعرق واللغة والثقافة مما أسفر عن مفاهيم لمحت إلى التمييز العنصري[4]، كانت في بداياتها علما استعلائيا استعماريا فلا يمكن إنكار دور المدرسة الأنثروبولوجية التي نشأت في ظل الاستعمار التي خدمت وقدمت له المعلومات اللازمة[5]، حيث أسس الفيزيولوجي والمنظر لعلم الأعراق ويليام إدواردز وآخرون عامي 1839-1847 الجمعية الأثنوغرافية بباريس لدراسة النظام الطبيعي، الطابع الفكري والخلقي

[1] بوقرين عيسى، المرجع السابق، ص789.

[2] حسين فهيم، المرجع السابق، ص101.

[3] عيسى الشماس، المرجع السابق، ص32.

[4] فريديريك بارث، روبرت باركن، الأنثروبولوجيا حقل علمي واحد وأربع مدارس، ترجمة أبو بكر قادر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، د.ط، د.ب، 2017 م، ص251.

[5] بوقرين عيسى، المرجع السابق، ص789.

واللغات والتقاليد بالإضافة إلى تأسيس الجمعيات المتاحف الأثنولوجية في فرنسا مثل متحف في تروكاديرو عام 1878[1].

المبحث الثاني: الأنثروبولوجيا والظاهرة الاستعمارية

منذ ظهور علم الأنثروبولوجيا اقترن بالظاهرة الاستعمارية الغربية، إذ كان الذراع الأيمن الذي مكن الاستعمار من فهم المجتمعات قبل وأثناء إخضاعها لذا وصفت الأنثروبولوجيا بأنها لا تتمتع بالبراءة والحيادية كما أنها علم تتجسد في غايته وغالبية مناهجه وموضوعاته المركزية الغربية التي جعلت الغرب معيارا حضاريا وإنسانيا وأباحت له استغلال الآخرين وإخضاعهم.

المطلب الأول : إرهاصات الأنثروبولوجيا الاستعمارية

لقد كان لعلم الأناسة فضل كبيرا على الحركة الاستعمارية، فقد قدمت لها خدمات جليلة في نفس الوقت استفادت الأنثروبولوجيا من الحركة الاستعمارية والتي كان لها أثر كبير في تقدم الدراسات والمناهج الأنثروبولوجيا[2]، هذا الأخير ظهر كعلم قائم بذاته ويقوم على العديد من القواعد مع بداية الحركة الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر ويتبلور بمنطلقاته وأهدافه في النصف الثاني من القرن ذاته[3].

كما استعانت الإدارة الاستعمارية بالمعرفة التاريخية للمنطقة العربية وخاصة منطقة شمال إفريقيا وقد كلفها ذلك سنوات لجمع المعلومات اللازمة لتحقيق أهدافها، هذه الدراسات والمعطيات التاريخية فسح المجال للأنثروبولوجيا لإجراء البحوث الميدانية على مناطق مختلفة من العالم وخاصة المنطقة العربية[4]، الوقت الذي استعان فيه الاستعمار بخدمات

[1] فريديريك بارث، روبرت باركن، المرجع السابق، ص252-253.

[2] بوقرين عيسى، المرجع السابق، ص790.

[3] عيسى الشماس، المرجع السابق، ص38.

[4] بوحسون العربي، المرجع السابق، ص165.

الأنثروبولوجيين استطاع أن يجد مبررات لتوظيف علماء الأنثروبولوجيا لدراسة المستعمرات[1]، ومن هنا تطور علم الإنسان بتورطها مع أنظمة الحكم الاستعماري واستغلال أمهر الأنثروبولوجيين كموظفيين حكوميين بل غدا الواقع الاستعماري يقدم لها حقلا لإجراء تجاربها وتطبيق نظرياتها، ولقد سهل عمل الأنثروبولوجيا الأمر الذي لم يحدث سابقا للأنثروبولوجيين[2].

لقد غزت الدول الأوروبية بقاعا مختلفة من العالم وقامت باكتشاف مناطق وشعوب لم تكن وهذا بقصد بسط نفوذها وتوسيع رقعتها الجغرافية من جهة، ومن جهة أخرى استغلال الخيرات الكثيرة والموارد الطبيعية والبشرية المتنوعة لهذه المناطق والبقاع، كما عرفت هذه الفترة بالعصر الكلاسيكي وهو عصر البحث عن المستعمرات عن أسواق وعن يد عاملة ومواد خام وعن زبائن جدد يشترون صناعات غير متوفرة في أرضهم[3].

إن هذا الاهتمام الأنثروبولوجي بالعالم العربي وإفريقيا كمنطقة دراسة أصبح نشطا في العقود الأخيرة لأسباب عديدة، إذ بالمقارنة بالاهتمامات الميدانية الأنثروبولوجية بإفريقيا ومنطقة الباسيفيكي وأجزائها من جنوب شرق آسيا والعالم الجديد بأمريكا[4]، هكذا بدأت الرحلة غربا وصار المشرق إلى جانب العديد من المواضيع المليئة بالأسرار مسموحا له، هذا شجع ذكرها الداعين لاستثمارها على المزيد من المغامرات لذلك رأى هذا العلم الإنساني الجديد أن من واجبه دراسة هذه الشعوب وتصنيفها على خرائط وبيانات قبل البدء بعملية التمدين[5]، ونجد عند بعض العلماء الأنثروبولوجيا جدلا ونقاشات حول مفهوم المنطقة العربية ككل

---

[1] بوحسون العربي، الاستشراق والأنثروبولوجيا والاستعمار، دراسة تحليلية لطبيعة العلاقة، مجلة الإنسان والمجتمع، العدد2، الجزء الثاني، ديسمبر 2011م، ص48.

[2] سعدية قندوسي، قراءة نقدية في تاريخ الأنثروبولوجيا، مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد 1، العدد2، الجزائر، جوان 2019، ص65.

[3] مرموقة منصور، الأنثروبولوجيا والنزعة الاستعمارية الحديثة، مجلة التدوين، العدد1، الجزائر، 2016، ص2.

[4] أبو بكر قادر، حسن رشيق، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، دار واسل للنشر، د.ط، د.ب، 2019، ص5.

[5] جيرار لكلرك، الأنثروبولوجيا والاستعمار، ترجمة جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت–لبنان، 1990م، ص17.

بوصفها منطقة ثقافية معينة إذا يدور حول وجود خصائص وسمات ثقافية يمكن اعتبارها شكل مركبا ثقافيا، وكما يتداخل في هذا الإطار حول كون العالم العربي منطقة ثقافية مع معالجات تتناول الإسلام وبالذات الإسلام السياسي أو الدراسات أو الدراسات الاثنية وسواها من الموضوعات[1].

يمكن تقسيم الدراسات الأنثروبولوجية الاستعمارية إلى ثلاث مراحل أساسية انتقل فيها علم الأنثروبولوجيا من دراسات وتقارير أعدها المستكشفون الرحالة إلى دراسات وتقارير أعدها ضباط وقادة الحملات العسكرية، بالإضافة إلى البعثات العلمية والتبشيرية وفي مرحلة ثالثة دراسات علمية أكاديمية متخصصة كما أنها خدمت السيطرة الاستعمارية بشكل وبآخر[2].

1- مرحلة الدراسات الاستكشافية:

أطلق اسم أنثروبولوجيو المكاتب أو المكاتب المكيفة على الأنثروبولوجيين الأوائل الذين كانوا يدونون ما يأتي به الرحالة والمستكشفين من معلومات حول طبيعة المجتمعات التقليدية[3]، مرحلة المستكشفين هي مرحلة تسبق أي عملية استعمارية وانكبت الدراسات فيها على الموقع الجغرافي وطبيعة السطح والعادات، التقاليد وجمع معلومات وافرة عن المجتمعات تخص الطبيعة والمبادلات والطرق التجارية وهم الثروات والأسواق استوجبت بداية من أشخاص غير باحثين كالقناصل والتجار والجواسيس الذين كانوا يسجلون ملاحظاتهم عما يحدث في المناطق المستكشفة ويرسلونها كتقارير إلى بلدانهم[4].

---

[1] [1] أبو بكر قادر، حسن رشيق، المرجع السابق، ص6.

[2] بوقرين عيسى، المرجع السابق، ص791.

[3] عبد القادر الهواري، الأنثروبولوجيا المستقبلية(مدخل لدراسة مستقبل الشعوب والجماعات)، ببلومانيا للنشر والتوزيع، د.ط، د.ب، 2020م، ص13.

[4] بوقرين عيسى، المرجع السابق، ص791.

في نهاية القرن 18م اعتبرت رحلة الرحال الإنجليزي مونغو بارك فتحا جديدا في تاريخ الرحلات إلى الداخل الإفريقي [1]، أما عن الجزائر يمكن اعتبار مخطط الجاسوس الضابط بوتان الاحتلالي سنة 1808م حيث كتب بأمر رسمي من السلطات الفرنسية بهدف الاستعمار[2]، ومما كتب عن الجزائر بأنها كانت خاضعة لنظام الدايات والداي الذي ينتخب عادة من طرف ضباط الإنكشارية وقد وقع حوالي 14إنقلاب أدى إلى موت الحاكم العام في كل مرة ما بين 30 دايا تعاقبوا عن حكم البلاد في فترة ما بين 1671م-1818م[3].

2-مرحلة الدراسات العسكرية:

هي دراسات وصفية أنجزها ضباط وقادة عمليات الاحتلال وانطلقت تقريبا في السنوات الأولى لعملية الاحتلال، وكان هدفها رسم الخرائط الطبوغرافية وإنجاز تقارير يومية للحملات العسكرية، تضمنت الكثير من المعلومات الدقيقة عن القبائل وعدد سكانها وطبيعة أنشطتها [4]حيث يعبر الأنثروبولوجي الإنجليزي بريتشارد عن العلاقة بين الاستعمار والأنثروبولوجيا بقوله: "**إذا كانت السياسة الاستعمارية لحكومة ما نقوم على حكم شعب فمن المفيد أن يعرف من هم الرؤساء وما هي وظيفتهم وسلطتهم وامتيازاتهم واجباتهم فإذا سلمنا بأن حكم شعب ينبغي أن يتغير وفقا لشرائعه الخاصة فيجب أولا أن تكشف هذه العادات والشرائع**".[5]

خلال العشر السنوات الأولى من احتلال الجزائر ظهر كتاب عسكريون أمثال كاريت و بليسيو، هانوتو ديلامار وغيرهم، وكتب كاريت عن القبائل الجزائرية وعن العلاقات

[1] جيرار لكلرك، المرجع السابق، ص18.

[2] محجوبي زهرة، المخططات العسكرية الفرنسية لاحتلال الجزائر(1741م-1830م)، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد2، العدد1، جانفي2020م، ص90.

[3] بن عرفة إبراهيم، بشيرة عالية، قراءة في أنثروبولوجيا الجزائر من 1830م إلى1962م، مجلة متون، المجلد11 ،العدد2، سبتمبر 2019، ص74.

[4] بوقرين عيسى، المرجع السابق، ص791.

[5] بوحسون العربي، الإستشراق والأنثروبولوجيا، المرجع السابق، ص49.

الإقتصادية بينها وكتب بليسي دي ريتو كتابه" أخبار الجزائر" الذي أرخ فيه للثماني عشرة الأولى من الاحتلال، كما كتب هانوتو عن لهجات ونظم الجزائريين وجمع "دي سلان" الذي ترجم تاريخ ابن خلدون وجغرافية البكري وغيرهما واقتص الضباط بروسلار بالخط العربي[1]إضافة إلى البعثات التبشيرية هي الأخرى التي بحثت في المعتقدات والأديان، وانكبت على نشر المسيحية بمختلف مذاهبها فقد سجلت تقاريرها الكثير من المعلومات من مختلف الأديان ذات الشعوب المستعمرة ومعتقداتها وقدمت أدوارا مختلفة سهلت بها عملية السيطرة والاحتلال[2]، استحق البابا لافجيري لقب زعيم الحركة التنصيرية في الجزائر من خلال لتأسيسه لجمعية الآباء البيض سنة1868م، وكانت أهم مراكز نشاطها في الجنوب الجزائري لأن الحركة التنصيرية كانت موجهة نحو الجنوب إلى عمق الساحل الإفريقي فضلا عن منطقة القبائل، إلى جانب جهود لافيجري نسجل النشاط التنصيري الكبير الذي قام به الأب شارل دي فوكو 1916م-1958م [3].

-3- الدراسات العلمية المتخصصة:

هي الدراسات التي يمكننا تصنيفها على أنها كتابات أكاديمية متخصصة وبالرغم من أنها كذلك إلا أنها بقيت في خدمة المصالح الاستعمارية، وهي دراسات منظمة على المستوى المنهجي و التحليلي[4]، وبالجزائر صدر قانون إنشاء المدارس العليا سنة 1880م اتسعت رقعة البحث لدى مؤرخين هذا العهد فأصبحوا يتناولون في كثير من الأحيان تاريخ شمال إفريقيا بصفة عامة ويربطون بين مصالح فرنسا والأقطار الثلاثة[5].

---

[1] أقحيز عامر، المؤرخ شارل أندري جوليان و دوره في كتابة تاريخ الجزائر، مجلة قضايا تاريخية، المجلد1، العدد2، الجزائر، 2016م، ص197.

[2] بوقرين عيسى، المرجع السابق، ص790.

[3] محمد بن ساعو، قراءة في كتاب الجزائر ومعركتها مع الثالوث المدمر(التنصير والإستشراق ،الاستعمار)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد12، الجزائر، جوان2017 م، ص303.

[4] بوقرين عيسى، المرجع السابق، ص792.

[5] أقحيز عامر، المرجع السابق، ص198.

المطلب الثاني: أطماع الأنثروبولوجيا الاستعمارية .

جاءت أهداف الأنثروبولوجية من أجل خدمة التوسع الاستعماري وذلك من خلال السيطرة والاستحواذ، كل ما له صلة بتاريخ المستعمرات من مخطوطات ووثائق وكتب تتعلق بالتراث الديني والثقافي وكذلك من خلال خلق قطيعة بينه وبين هويته وانتمائاته الاجتماعية والدينية وعزله عن مصادر ثقافته ورميه بصورة مبتذلة من جهل ووصفه بالتوحش[1]، ومثال ذلك الصورة التي قدمتها الأثنولوجيا الأكاديمية عن الجزائري خاصة في مرحلة 1871م-1919م هي صورة كانت تهدف من خلالها تحطيم البنيان الثقافي والرمزي للجزائريين[2]أضف إلى ذلك أن الإيديولوجية الاستعمارية التي قامت على العنصرية العرقية والتمركز الثقافي والغربي حاولت أن تعمل على توطيد التبعية التامة من خلال تقسيم العالم إلى عالمين: الأول متقدم وحديث والثاني متوحش ومتخلف، فقد ذكر أرنسنت مرسي في كتابه " مسألة الأهالي في الجزائر 1901" أن هناك فرق بين الأوروبيون والأهالي، ومن ثم حق الأوائل في إدارة شؤون الآخرين.

لقد اهتمت الحكومات الاستعمارية بالبحوث الأنثروبولوجية وجعلتها جزءا من سياستها، دعمت من طرف وزارة المستعمرات لجمع المزيد من المعلومات الموثوق بها عن التنظيم الاجتماعي للسكان، حيث أمرتهم في هذه المرحلة على غرس إيديولوجيا الاستعمار وكان الهدف الرئيسي هو ضبط السكان الوطنيين وقمعهم واستغلالهم[3]، إن إثارة النزعة العرقية أو عرف أحيانا بالأطروحة البربرية وأزمة الهوية ولانتماء يعد أخطر المساعي والتوجهات التي سعت إليها المدرسة الأنثروبولوجية الاستعمارية لخدمة أهداف خطرة، ولقد كانت لإثارة ثنائية

[1] كوسة نور الدين، دور الدراسات الأنثروبولوجية الاستعمارية في تفكيك البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد2، العدد 3، 2007م، ص153.

[2] وداد دريوش، الأثنولوجيا في الجزائر المستعمرة بين الاداعاءات العلمية والخلفيات الإيديولوجية، مجلة الأنثروبولوجيا، مجلد07، عدد2، الجزائر، 2021م، ص226.

[3] بوحسون العربي، الإستشراق والأنثروبولوجيا... ، المرجع السابق، ص.ص52،51.

عربي–قبائلي في الكتابات الأنثروبولوجية مخلفة نتائج سلبية لا يستهان بخطورتها ولا تزال المجتمعات المغاربية متأثرة بها[1].

غالب الظن إن التنصير قد ظهر منذ بعيد وذلك من خلال التشكيك في معتقداتهم بالوسائل الثقافية بدل من قوة السلاح [2]، حيث شكل المبشرون في ذلك الوقت الطليعة " العقلية" لأعمال البحث وللجهود التوسعية صحيح أنهم كانوا على الدوام مدركين للخيط الرفيع الفاصل بين التنصير و الاستعمار[3]، لقد تكفل المبشرون ببلاد المغرب حيث أرسلتهم جمعية تبشير شمال إفريقيا ومنهم مبشرون وأطباء تابعين لهم وقد قام حاكم الجزائر بدعم الأسقف " هرتزل" في عمله التبشيري، بالإضافة إلى أن الكنيسة كانت من أكبر المؤيدين للحملة على الجزائر التي قادها شارل العاشر حيث حمل الرهبان الصليب وأصبحوا جنودا في الحملة، وبعد مرور أقل من 15 سنة من الاحتلال الجزائر تأسست الجمعية الأدبية الدينية للقديسين أوغسطين عام 1844م وكان من أهدافها تنصير المسلمين ومواجهة التأثير الإسلامي على بعض الأوروبيون وبعث الثقافة الدينية النصرانية بالجزائر[4].

إن من الفرضيات الأساسية التي كان يسعى الاستعمار لتحقيقها ميدانيا من خلال الكتابات التاريخية والأنثروبولوجية تلك الفرضية القائلة بأن الدين الإسلامي لا يمكنه مواكبة التطور والعلم، أي أن الدين الإسلامي غير مناهض للمدنية وكان رأيهم هذا نابع من اكتشافهم وتفطنهم أن الإسلام هو سر المقاومة وأنه ما دام مستأصلا في المجتمعات الإسلامية لن يكتب استمرار الاستعمار فعملت على استغلال الطرق الصوفية ورجال الدين

[1] كوسة نور الدين، المرجع السابق، ص154.

[2] لخضر بن بوزيد، التنصير والاستعمار في إفريقيا بين القرن التاسع عشر والعشرين، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد10، جوان 2016، ص8.

[3] جيرار لكلرك، المرجع السابق، ص24.

[4] لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص11.

وشيوخ الزوايا، ومن بينها ظاهرة الأولياء والمرابطين لخرب الإسلام بالإضافة لاستعمال هؤلاء كوسطاء بين الإدارة الاستعمارية الفرنسية والأهالي[1].

ردا من جانبنا نقول أن علم الأناسة كان متواجدا منذ العصور القديمة، في الوقت الذي وعى الإنسان ذاته وبدأ يسعى ويتفاعل حيث أن علم الأنثروبولوجيا يتضمن التاريخ والأصول، إلا أن الانطلاقية الفعلية له كانت في الفترة الاستكشافية والاستعمارية الحديثة التي غزت فيها الدول الأوروبية بقاع مختلفة من العالم بقصد بسط نفوذها وتوسيع رقعتها الجغرافية ومن جهة أخرى استغلال الثروات والموارد، وهذا ما طبقته فرنسا في الجزائر واستغلالها لدراسات الأنثروبولوجية من أجل تحقيق أطماعها الاستعمارية.

[1] كوسة نور الدين، المرجع السابق، 155.

الفصل الثاني:

الأنثروبولوجيا الاستعمارية بالجزائر النشأة والتطور.

تمهيد.

المبحث الأول: الأنثروبولوجيا والمنظومة الكولونيالية.

المطلب الأول: حالة المجتمع الجزائري قبل الاحتلال في عيون الكتابات الغربية

المطلب الثاني: الأنثروبولوجيا الكونيالية وبداية اكتشاف الإنسان الجزائري .

المبحث الثاني: نماذج حول الأبحاث الأنثربولوجية الثقافية الفرنسية في الجزائر.

المطلب الأول: دراسات حول منطقة القبائل.

المطلب الثاني: دراسات حول منطقة الاوراس.

المطلب الثالث: دراسات حول منطقة الصحراء.

أبدت الدول الأوروبية اهتماما بالغا بالجزائر منذ القرن 16م إذ كانت وجهة للعديد من الرحالة و المستكشفين الغربيين، حيث تنوعت مصادر تاريخ الجزائر العثمانية من بينها كتابات الأسرى و القناصل ورجال الدين والرحالة، سجلوا كل ما وقعت عليهم أعينهم وما سمعته آذانهم من معلومات وأوصاف عن حالة المجتمع الجزائري، ولم تقتصر هذه الدراسات فقط على هذه الفترة بل استمرت مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م عرفت بالدراسات الأنثروبولوجيا الكولونيالية لأنها كانت تستعمل من طرف الجنرالات والعسكريين وذلك من أجل توسيع مشروعها الاستعماري وتطبيق سياسة الاحتواء البنيوي التي انتهجها حزب الكولون، لتتعدد بعدها الدراسات والكتابات الأنثروبولوجية الثقافية من طرف باحثين متخصصين في الاثنوغرافيا حول العديد من المناطق (منطقة القبائل، منطقة الأوراس، منطقة الصحراء).

المبحث الأول: الأنثروبولوجيا والمنظومة الكولونيالية.

المطلب الأول: حالة المجتمع الجزائري قبل الاحتلال في الكتابات الغربية .

كانت الجزائر كسائر بلدان المغرب العربي مقصد العديد من الرحالة الأوروبيون الذين قدموا إليها بمختلف أهدافهم العلمية أو الدينية أو الاستطلاعية أو الدبلوماسية وطوال فترة مكوثهم أنتجوا مؤلفات عدة تطرقوا فيها إلى عدة قضايا وتحدثوا على شتى جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية خاصة عندما كانت الجزائر تحت سلطة الحكم العثماني[1].

كما أن الرحالة سجلوا ما وقع تحت أعينهم وما لفت أنظارهم وما أثار انطباعهم، فوصفوا البلاد وصوروا العباد وتفانوا في جمع المعلومات الجغرافية والتاريخية والحضارية وما مرت به الجزائر من أوضاع تحت وطأة الحكم العثماني، وهذا ما

[1]حواء حنكة، عبد القادر كركار، وصف الرحالة الأوروبيون للوضع السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة دراسات، المجلد15، العدد01، 2023م، ص02.

سنتعرف عليه من خلال كتابات الرحالة الأجانب والتي بكونها شهادات عايش أصحابها الأحداث أو شاهدوها عن قرب[1] ومن بينها:

- الأوضاع السياسية:

لقد أقر المفتش العام المعروف بفرنسا موريس كروزويه في كتابه "تاريخ الحضارات العام" بأن جل الاكتشافات التي كان يقوم بها الأوروبيين تدخل في إطار الشهوانية الرغبة في الربح وتحقيق مدخول تجاري اقتصادي، وهذا ما كتب عن الجزائر بأنها كانت خاضعة لنظام الدايات والداي ينتخب عادة من طرف ضباط الإنكشارية[2]، هذا ما أشار إليه الرحالة جوهان أو هابنسترايت حيث قال:[3]" **يختار لمنصب الداي أحد الأتراك بإجماع الآراء أو بتغلب إحدى الجماعات في فرض مرشحها** ..."، يقول في هذا الصدد "فرنتيري دي باراداي" أن بعد وصول الداي عبدي إلى السلطة أصبحت العلاقات مع الباب العالي محدودة ،كما تكلم "لوجي دي تاسي" حول الفتن والثورات التي مرت بها الجزائر خلال الفترة العثمانية مشيرا إليها في رأيه أن إختيار الداي يكون مصحوبا عادة بالقتل والفتن وكذلك تحدث عن المظالم التي تمارس ضد السكان في الجزائر والتي تؤدي إلى انتشار حركات التمرد في أرجاء أو عموم البلاد[4].

- الأوضاع الاجتماعية :

يعكس التركيب الاجتماعي للجزائر التنوع العرقي من حيث الأصول والخلفيات لمجموع المواطنين بها، وقد أدى حضور الأتراك إلى تزويدها بلحمة هامة

---

[1]محمد حمودي، صورة الجزائر إبان الاحتلال من خلال كتابات الرحال الألماني موريتس فاغنر، مجلة الموروث، العدد 02، الجزائر،2001 م، ص299.

[2]بن عرفة إبراهيم، بشيرة عالية، المرجع السابق، ص74.

[3]جوهان أو هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)، ترجمة ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، د.ط، تونس، د.ت، ص40.

[4]حواء حنكة، عبد القادر كركار، المرجع السابق، ص8.

للامتزاج الثقافي الموجود فيها من قبل [1]، كما أن هذا الامتزاج خلق فئات اجتماعية عدة منها الفئة الحاكمة والتي تشمل الأتراك من القوات الإنكشارية[2] وفي هذا الصدد يقول القنصل الأمريكي شالر أن المرتب الذي يتقاضاه الإنكشارية عقب الانخراط في سلك الجندية هو ضئيل ولا يكاد يتجاوز الدولار، كما أن العزاب منهم يسكنون في غرف فسيحة ملائمة والحكومة تقوم بتزويدهم في مرحلة التالية بوصولهم بالكسوة والسلاح والذخيرة بأسعار زهيدة[3] .

بالإضافة إلى فئة الموظفين الذين حافظوا على الاحتكاك الاجتماعي ومصالحهم وأمنهم التجاري معهم عبر الهياكل الإدارية بتوفير الخدمات الضرورية التي تقضيها الأوضاع الاجتماعية والنشاطات الفعلية الاقتصادية ومتطلباتها المعاشية حفاظا على التوازن الاجتماعي الاستهلاكي [4].

كما يتكون المجتمع الجزائري في تلك الفترة من فئة الكراغلة والتي تكونت نتيجة زواج أفراد الجيش العثماني بنساء الجزائر إذ ظهرت أول مرة في مدن تلمسان، معكسر، بسكرة وقلعة بني راشد...الخ، كما يعود تاريخ هذا العنصر الكرغلي كفئة مستقلة ومتميزة تنافس الأتراك العثمانيين في الامتيازات إلى سنة 1596م[5].

---

[1]وليام سبنسر، الجزائر في عهد"الرياس" البحر، ترجمة عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر، د.ط، الجزائر،2006م، ص97.

[2]مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان، أ وضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518م-1830م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مجلد 5، العدد 16، 2013 م، ص425.

[3]وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر(1816م-1824م)، ترجمة إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1986م، ص .ص،52-53.

[4]سحر ماهودمحمد، الموظفون العثمانيون في إيالة الجزائر(دراسة في أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية)، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 2، 2015م، ص397.

[5]آيت حبوش حميد، الكراغلة ودورهم السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، العدد5، 15-03-2013م، ص09.

وقد عاش الكراغلة في بداية عهدهم كبقية العناصر العثمانية فكانوا يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات التي كان يتمتع بها آبائهم وقد قاموا مع مرور الوقت بدور الوساطة بين الحكام والمحكومين، ولعبوا دورا بارزا في تاريخ البلاد خلال الفترة العثمانية وسبب اندماج الكراغلة بالعثمانيين كان يعود إلى شخصية الحكام الأوائل وسياستهم العادلة وحنكتهم في توحيد العناصر المختلفة تحت حكمهم[1]، استقر الكراغلة في الحاميات العثمانية وهذا ما تؤكده إحدى الدراسات التي أعدها "مارسيل إميريت" واعتمد فيها على تقارير الضباط الفرنسيين خلال السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي أن الكراغلة في بايلك الغرب انتشروا في المدن الآتية: في تلمسان ومستغانم، وتضم المدية عاصمة بايلك التيطري عدد كبير منهم أما مدينة الجزائر فإن عددهم ضئيل جدا والبليدة وفي بايلك قسنطينة يقيمون في الحاميات العسكرية بتبسة وزمورة وعنابة هذا بخصوص مكان تواجد هم، أما من جهة طريقتهم في اللباس فقد أشار شالر إلى ذلك[2]وقال:" **إن ألبسة مزينة بالقصب وبحواشي الذهب أو الفضة أو الحرير طبقا لغرور الشخص ونزواته. وشكل العمامة وثناياها ونوع من المادة التي صنعت منه هي المقياس الذي يحكم عليه الناس بقيمة الرجل الذي يلبسها فوق جميع ملابسه، يلبس الكرغلي برنوسا يحمله على كتفه ويغطي به جسمه"[3].**

وبعدما أشرنا إلى فئة الكراغلة ننتقل إلى فئة أخرى ضمن المجتمع الجزائري في العهد العثماني وهم الأندلسيون فقد تكاثر عددهم منذ مجيء الأتراك إلى الجزائر خاصة في القرن 16م، تزايدت الهجرة نحو بلاد المغرب الأوسط بعد تمادي حكم إسبانيا وخاصة بعد صدور مرسوم يقضي بطرد المسلمين بنهاية1609 م، فقد استقبلت مدينة

[1]أرزقي شويتام، دور الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية (1519م-1830م)، مجلة آفاق وأفكار، المجلد03 ، العدد04، 2010م، ص180.

[2]آيت حبوش حميد، المرجع السابق، ص09.

[3]وليام شالر، المصدر السابق، ص83.

قسنطينة هي الأخرى جماعات هامة من جالية أندلسية والتي كانت تابعة إداريا لإقليم قسنطينة خلال العهد العثماني [1]، وقد تحدث مارمول كربخال في كتابه "وصف إفريقيا" عن هذا الجانب إذ يقول: "**وفي المدينة أكثر من ثلاثمائة من سكانها من المسلمين الذين هاجروا من قشتالة والأندلس ومن أهل الثغور.ومن مملكة بلنسية وتزداد هذه المستوطنة يوما بعد يوما لأن البلد خصب كثير القمح والماشية، وبه جميع أنواع الفواكه كما في أوروبا ويضاف إلى ذلك السكان يكسبون ثروات من دودة القز..."**[2].

أما طائفة اليهود فقد شكلت جزء مهم من المجتمع الجزائري وقد برز دورهم في المعاملات التجارية والمفاوضات بين التجار إذ أمكنهم هذا من احتكار التجارة الخارجية من طرف عائلتي "بكري وبوشناق"، كما ساهموا في التأثير على الحياة السياسية والاقتصادية خاصة في المراحل الأخيرة للحكم العثماني، كما قدر عدد اليهود ما بين 7000 و8000 نسمة بمدينة الجزائر وقد أوكلت مهمة العناية بشؤونهم إلى أحد الأعيان المعروف بالمقدم[3].

-**الأوضاع الثقافية:** برز دور المؤسسات التعليمية في أواخر الفترة العثمانية والتي كانت من العوامل الهامة التي أثرت في الحياة الثقافية، فمن الناحية التاريخية فقد أجمع المؤرخون أنه عصرا مزدهرا من الثقافة والتعليم إذ كان يقدر عدد المكاتب القرآنية في القطر الجزائري ثلاثة آلاف كتاب قرآني بفضل أموال الأوقاف والزوايا، انتشر التعليم في المدن والأرياف حيث كان في العهد العثماني شبه مستقل عن الدولة ويخضع لمراقبة

[1]شلابي رفيق، التأثير الأندلسي المعماري خلال العهد العثماني "قسنطينة نموذجا" ، مجلة الراصد العلمي، المجلد09، العدد01، جويلية 2022، ص7.

[2]مارمول كربخال، إفريقيا ، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج2، دار المعارف الجديدة للنشر، د.ط، الرباط، 1989م ، ص362.

[3]هشام بوبكر، عيساوي بلقاسم، جوانب من الحياة الديمغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية، مجلة آفاق العلوم، العدد7، مارس 2017م، ص295.

وتوجيهات نظار الأحباس، وهذا نظرا لكون نفقاته كانت تدفع من ريع الأوقاف، لقد أحصى دوفو DEVOULX Albertفي أواخر العهد العثماني أثنا عشر زاوية واثنتان وثلاثون ضريحا يضاف إليها زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي وزاوية سيدي عبد القادر الجيلاني[1].

كما اهتم العثمانيون في الجزائر ببناء المساجد وتحبيس الأوقاف عليها ولم يهتموا بشيء آخر من العمران كاهتمامهم بها وأمنوا الموارد لصيانتها، وقد قدر "هايدو الإسباني "عدد المساجد في مدينة الجزائر سنة 1581م بمائة مسجد بينما لم يكن عددها تجاوز اثنين قبل الدخول العثماني، ويعني هذا أنهم شيدوا هذا العدد الهائل من المساجد خلال ثلثي قرن فقط [2].

وتطرق الرحالة والعالم فيلهلم شيمبر[3]في كتاباته عن التربية والتعليم في الجزائر وذكر أن الأطفال يذهبون إلى المدارس وهي موجودة بكثرة في السادسة من العمر، يتعلمون فيها القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن الكريم ثم يواصلون تعليمهم عند العلماء والفقهاء ويسافر الكثير منهم إلى تونس والإسكندرية لإتمام دراستهم وتعلم الحرف والفنون والتجارة...الخ[4] .

---

[1]رشيد مريخي، ملامح الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد5 ، العدد12، ديسمبر 2017م، ص. ص 234.235.

[2]بحري أحمد، ملامح التاريخ الثقافي للجزائر في العهد العثماني، مجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 8، العدد9 ، 2012م، ص269.

[3] شيمبر: رحالة غربي ألماني ولد في 1804م درس التاريخ الطبيعي في ميونيخ وعمل لفترة قصيرة من الزمن مع عالم الجيولوجيا لويس أغاسيز وفي 1831 إلى الجزائر. ينظر: محمد بن عبد العزيز الفيصل، رحلة العالم النباتي شيمبر إلى الجزيرة العربية1836م، متوفر على الرابط: https://www.al-jazirah.com ،تاريخ النشر06أبريل2020م، تاريخ الإطلاع 1 ماي 2023م، وقت الإطلاع 22:00 .

[4]أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان(1830-1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1975م، ص13.

أشار الرحالة الألماني هابنسترايت إلى البنية العمرانية من خلال رحلته إلى الجزائر إلى الأبراج والتي توفرت في مدينة الجزائر والتي شكلت حصنا منيعا للمدينة من هجمات معاكسة حيث وصفها بالمنتظمة وجيدة البناء من حيث نوعيتها[1]، بالإضافة إلى وصفه للحمامات مدينة الجزائر بأنها مريحة ومزينة والذين يستخدمونها تقدم لهم خدمات جيدة [2]، كما ذكر هابنسترايت المقابر وقال أنها تقع خارج المدينة وهي بمثابة مزارات وخاصة أضرحة المرابطين التي تتخذ أماكن للعبادة، كذلك يشير إلى ظاهرة غريبة في مجتمع مدينة الجزائر وهي قبور الدايات الذين يموتون بدون التعرض للقتل من الصعب العثور عليها ثم إذا وجدت تتخذ مزارات للتبرك بها، كما يعطي حقائق تاريخية حول الدايات الذين يقتلون يدفنون بدون مراسيم الدفن وتوجد ستة قبور لدايات تم اغتيالهم في نفس اليوم الذي تولوا فيه منصب الداي والقبر السابع الذي بجانبهم للداي الذي تغلب على منافسيه أما بقية القبور يختلف مظهرها حسب مكانة أصحابها بين قبر رفيع المقام وآخر قليل شأنا[3].

أما عادات وتقاليد المجتمع الجزائري بصفة عامة والمرأة الجزائرية بصفة خاصة تنوعت وتعددت خلال الحكم التركي نظرا لتركيبته العرقية وضوابطه العرقية وطقوسه الاحتفالية، التي حددها الرحالة هابنسترايت بأنها تخضع للشريعة الإسلامية وباعتبارها قانون جماعي يوفر جو ملائم للتعايش بين جميع الفئات وضرورة الالتزام بها كونها تضمن المصالح المشتركة لهذا المجتمع، ومن العادات الحسنة التي أوردها هي المعاملة

[1]غزالي عبد العالي، صورة الجزائر في مصادر الرحلة الغربية رحلة هابنسترايت–انموذجا– ، مجلة الحوار المتوسطي ، المجلد9، العدد1، مارس 2018م، ص116.

[2]هابنسترايت، المصدر السابق، ص37.

[3]المرجع نفسه، ص40.

بالمعروف للمسلم مع أصدقائه، كما يتمتع كل فرد في المجتمع الجزائري بحرية المعتقد لا يلزم ولا يكره على إتباع أو إخضاع لدين معين[1].

هذا ما نلمسه من عادات أصل الجزائر المستمد من الإسلام لاسيما الكرم والعدل مع الأجانب وهو ما جاء على ذكره صاحب الرحلة قائلا: "**يتمتع الكل في الجزائر بحرية المعتقد فالأجانب يكرمون والكل في وضعية تمكنهم من القيام بما يرغبون فيه والأسير المسيحي يستطيع أن يحصل على حكم عادل عن أي معاملة سيئة يتلقاها من سيده**"[2].

كما أورد هابنسترايت[3] صورا عن المرأة الجزائرية تجلت في قوله: "**أغلب العادات التي يمارسها الجزائريون تستند في أساسها إلى قوانين وليس فيها ما يفاجئ الأوروبي كغياب النساء عن الحياة العامة واحتشامهن الشديد، فلا يسيرون في الأزقة بدون حجاب وحتى منازلهن تكاد أشعة الشمس لا تصل إليها .....**"[4]، وفي هذا الصدد أظهر الرحالة الأديب الفرنسي تيوفيل غوتييه[5] إعجابه وافتتانه بجمال المرأة القسنطينية التي رآها في حفل العيساوة المقام بسرتا حيث يصف النساء بالجميلات قائلا: "**في الجهة المقابلة على الطريقة الشرقية أربع أو خمس نساء في مقتبل العمر يغطين رؤوسهن بتلك المناديل الحريرية ذات الألوان الصارخة... أما جفونهم المسودة**

---

[1] غزالي عبد العالي، المرجع السابق، ص114.

[2] هابنسترايت، المصدر السابق، ص44.

[3] جوهان أرنست هابنسترايت هو رحالة ألماني ولد يوم 15 جانفي 1702م في نوشتادت أون أورلا توفي في 1757م، درس الطب وقام بالعديد من الرحلات منها رحلته إلى الجزائر. ينظر: إلياس سبوعي، أدب الرحلة الأوروبية كمصدر هام لتاريخ الجزائر في العهد العثماني(رحلة الألماني ج.أو.هابنسترايت نموذجا)، مجلة عصور جديدة، المجلد9، العدد3 ، نوفمبر 2019م، ص253.

[4] بوطرفة شفيق، الجزائر في كتابات الرحالة الألمان ج.أو.هابنسترايت–انموذجا–، مجلة حوليات، العدد32، ج3، سبتمبر 2018م، ص.ص468.467.

[5] تيوفيل غوتييه: شاعر وروائي وكاتب مسرحي من أهم الكتاب الفرنسيين قام برحلة إلى الجزائر في صيف 1845م وقام بتأليف كتاب بعنوان رحلة شائقة إلى الجزائر. ينظر: خالد بن صالح، تيوفيل غوتييه ورحلته إلى الجزائر، متوفر على الرابط:https://www.alarabiya.net،تاريخ النشر 2021م، تاريخ الإطلاع1ماي2023م، وقت الإطلاع21:35.

بالكحل.." ، كما راح يفصل أدوات الزينة التي تستعين بها المرأة الجزائرية بقوله: "**كن يضعن في أذانهم أقراطا طويلة مصنوعة بذوق همجي وتحيط كل واحدة منهن وجهها بثلاث سليسلات ذهبية تشبه المخانق وهي موضة خاصة بقسنطينة**"[1]، وأشار هابنسترايت إلى شهر رمضان المبارك حيث أنه لاحظ المسلمون يمتنعون عن الأكل والشرب طوال النهار طيلة الشهر حتى ظهور قمر الشهر التالي، ومع نهاية الشهر وعند رؤية هلال العيد ينتقل الخبر على جناح السرعة إلى الداي ليأمر بإطلاق المدافع إعلانا عن انتهاء شهر رمضان وحلول العيد[2].

المطلب الثاني: الأنثروبولوجيا الكولونيالية وبداية اكتشاف الإنسان الجزائري.

بعد اكتشاف العالم الجديد وقع نوع من الغرابة أثناء دراسة الشعوب المسماة بشعوب العالم الثالث نظرا لطبيعة تركيبتها الاجتماعية وطريقة عيشها والأنظمة التي تسير طريقة عيشها، حيث تعيش بطريقة بدائية ونظام اجتماعي عشائري يقوم أساسا على الإنتاج المشترك وتقاسمه من النشاطات التي يمارسونها من الزراعة وصيد وتجارة وهذه الأمور تعتبر أمورا جديدة بنسبة للرحالة والدارسين الذين يحملون في عقولهم فكرة الإنسان البدائي والإنسان الأوروبي المتحضر[3].

يعتبر الرحالة والأنثروبولوجيين أن الأناسة جاءت من أجل تطوير المجتمعات البدائية حيث رأى الباحث المتمدن فيها نمطا من المجتمعات يختلف كليا عن مجتمعاته المتمدنة، ومن هذا المنطلق "دأب ستانلي" في مجمل رحلاته على رسم صورة الرجل الأبيض القادر على كسب كبير في حل المشكلات وكيف استطاع التغلب على القادة الصغار الذي لا يشكلون بنسبه له أي صعوبة[4] .

---

[1]بوطرفة شفيق، المرجع السابق، ص682.

[2]هابنسترايت، المصدر السابق، ص48.

[3]بن عرفة إبراهيم، بشيرة عالية، المرجع السابق، ص58.

[4]جيرار لكلرك، المرجع السابق، ص23.

ونعتبر أن الأنثروبولوجيا كتبت كدراسات تجارية الغرض منها هو البحث عن مصادر طاقوية وموارد بديلة وموارد أولية تحتاجها مصانع الثورة الصناعية في فترة الازدهار الأوروبية[1] . كانت الدراسات الأنثروبولوجية بالجزائر في بداية الأمر دراسات عسكرية حتى أنها كانت تسمى بالدراسات الكولونيالية لأنها كانت تستعمل من طرف الطبقة العسكرية الفرنسية خلال الاحتلال[2] هذا الأخير رافقته معرفة استكشافية لبنية المجتمع الجزائري، ولقد أدركت فرنسا الاستعمارية أن احتلال الجزائر عسكريا واستيطانيا ليس بالكفيل أن يضمن لها خضوع الشعب لإرادتها الاستعمارية كرها أم طوعا ،فدفع بها إلى وضع إستراتيجية تقوم على تجنيد فروع معرفية كانت سائدة آنذاك لاسيما الأثنوغرافيا والأثنولوجيا[3] .

بعد احتلال الجزائر عام 1830م وتدريجيا أمام المقاومة الشديدة التي واجهوها بدأ الاهتمام بمعرفة أوضاع وأحوال السكان المحليين ومالهم من قوة دفاعية، ومن تنظيم سياسي واجتماعي ومن معتقدات دينية بالإضافة إلى ممارسات يومية ومن ثقافة بصفة عامة، حتى يتمكن الضباط من وضع خطة عسكرية لاحتلال مختلف الجهات وبهذا أصبحوا مهتمين بهذه البحوث الأنثروبولوجية تنفيذا للخطة المسطرة من طرف السلطات الفرنسية التي كانت مصرة على الاحتلال الكامل للبلاد[4].

لقد سخرت البحوث الأنثروبولوجية في تسهيل الغزو الاستعماري وتوجيهها بأخبار ومعلومات ميدانية، وفي هذا الصدد قام النظام الاستعماري بدراسة معمقة لبلاد الجزائر

---

[1]بن عرفة إبراهيم، بشيرة عالية، المرجع السابق، ص73.

[2]بريجة شريفة، استغلال الأعمال الأنثروبولوجية من طرف العسكريين الفرنسيين لصالح الاحتلال " السنوات الأولى من احتلال الجزائر"، مجلة آفاق فكرية، العدد1، جانفي2014م، ص142.

[3]وداد دريوش، الأثنولوجيا في الجزائر المستعمرة بين الإدعاءات العلمية والخلفيات الإيديولوجية، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد07، العدد2، 2021م، ص217.

[4]بريجة شريفة، المرجع السابق، ص142.

وأسس العديد من اللجان والجمعيات العلمية[1] في إطار ما يعرف بالسوسيولوجيا الكولونيالية، ونقصد بها تلك الدراسات والأعمال التي أجريت خلال المرحلة الاستعمارية والتي عملت على دراسة المجتمع الجزائري والتنقيب في بنياته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والسوسيولوجيا الكولونيالية طبقت من طرف الوزارة الحربية وكان هؤلاء عبارة عن عساكر ومرتزقة جندوا لخدمة المشروع الكولونيالي[2]، وقد نشروا الكثير من المؤلفات حول ثقافة المجتمع الجزائري في الفترة الممتدة بين 1830م-1900م مستعينين بالنظريات التاريخية والأنثروبولوجية السائدة في ذلك الوقت في المخابر الأوروبية لثقافات الشعوب الأخرى للديانات الغير مسيحية[3] .

وقسم السوسيولوجيين الكولونياليون في الجزائر إلى ثلاث فئات:

-الفئة الأولى: وتضم الفضوليون وهم أناس لا علاقة لهم بعلم الاجتماع وكانت الكتابة عندهم بمثابة تسلية أو تجنيدا أو تطوعا لخدمة المشروع الكولونيالي ومنهم أطباء، سواح تجار..الخ .

- الفئة الثانية : وتشمل العساكر والجنود والضباط من الرتب العليا وكانت كتاباتهم عبارة عن محاولة لإبراز الإنسان الغربي المتقدم والإنسان الجزائري البربري المتخلف' وهي الفئة الكبيرة التي كتبت دراسات تميزت بطغيان الذاتية والعنصرية عن الجانب الثقافي والديني على أساس مختصين في المسألة الجزائرية .

-الفئة الثالثة: وتضم أصحاب الاتجاه الأكاديمي الذين كانت دراستهم تهدف إلى تزييف الحقائق ونشر الأباطيل بالإضافة إلى السوسيولوجيين ذوي الأبحاث العلمية الجادة عن الجزائر وهم جنود، ضباط، رجال آداب، رجال دين وجغرافيون..الخ[4] .

---

[1] حفناوي بوعلي، صورة الجزائر في عيون الرحالة وكتابة الغربية، دروب النشر والتوزيع، د.ط، د.ب، 2016م، ص86.

[2] عزيزة خلفاوي، السوسيولوجيا في الجزائر ومخلفاتها، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد6، عدد 17، 2014م، ص2.

[3] بريجة شريفة، المرجع السابق، ص143.

[4] عزيزة خلفاوي، المرجع السابق، ص.ص 15.16.

لجان و جمعيات البحث العلمي(1830م-1900م):

1- لجنة الاكتشاف العلمي 1873م: أمر وزير الحربية الفرنسية "الماريشال سولت" تشكيل لجنة علمية لاستكشاف المستعمرة، فقام بإخطار الحاكم العام للجزائر الماريشال "فاليي" منوها على ضرورة أخذ جهوزية كاملة تتعلق باستقبال البعثة دون تأخير[1]، في نهاية 1837م قررت المؤسسة الفرنسية بإرسال لجنة من المستكشفين إلى الجزائر وسخرت كل الوسائل المتاحة لها لإنجاز هذا العمل، وقد قامت باتصالات عديدة حول الموضوع مع وزارة الحرب والإدارات الوزارية والهيئات العلمية والسلطة المحلية الجزائرية لتسهيل المهمة[2]، وضع الخطوط العريضة رئيس اللجنة العقيد "بوري دي سان فانسان" بناء على التعليمات المسندة إليه من طرف وزير الحربية حدد فيها أهداف المشروع والنتائج المرجوة[3] .

ضمت اللجنة 21 عضوا من بينهم 10 عسكريين و11 مدنيين، كان من بينهم الرائد ميشال كاريت الذي كلف بالبحث في أصول اللغة والإثنيات داخل الجزائر المستعمرة، كما كلف بروسبير أونفونتانبا لأثنوغرافيا والتاريخ والتقاليد الجزائرية[4].

كان من أهم انجازاتها العلمية دراسات حول المسالك والطرق العربية من القسم الجنوبي الشرقي من الجزائر للنقيب ميشال كاريت وحمل عنوان :

Etudes sur les routes suivies par les arabe dans le partie MERIDIONALE Et De Les REGENCE de tunis pour servir AL' etablissement du Reseau

---

[1]صدوقي أمحمد، لجنة استكشاف الجزائر العلمية بين نشاطاتها البحثية وارتباطاتها الاستعمارية (1873م-1842م)، مجلة قضايا تاريخية، العدد14، جانفي 2021م، ص108.

[2]Ministre de la guerre, Tableau de la situation des établissements français dans la l'Algèrie en 1838, imprimerie ROYALE, PARIS, JUIN 1839, P113.

[3]أمحمد صدوقي، النشاطات التاريخية والأثرية الفرنسية في الجزائر ودورها في تجسيد المشروع الاستعماري (1830م-1930م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبو قاسم سعدالله، الجزائر، 2019م-2020م، ص79.

[4]أمحمد صدوقي، لجنة استكشاف الجزائر العلمية ...، المرجع السابق، ص109.

Geographique de Ces Contree Accompagnee d'une Carte ITINERAIRE.[1]
وأبحاث حول جغرافية وتجارة الجنوب بعنوان:
Recherches sur la géographie et le Commeree de l'Algérie méridionale.
استعرض فيه الكاتب التقسيم الإداري والطبيعي للجزائر في قسمها الجنوبي الذي وصفه بالجزء الغامض واستلزم التأمل والاستكشاف [2]، ويضاف إلى هذا دراسات حول بلاد القبائل تناولوا فيها موضوع تاريخ وجغرافية المنطقة القبائل باعتبارها المنطقة الحيوية الرئيسية في المستعمرة[3].

2- الجمعية الأثرية والتاريخية والجغرافية لعمالة قسنطينة:

اهتمت الإدارة الفرنسية بالتراث الأثري الجزائري وذلك لفهم المجتمع الجزائري من خلال إنشاء جمعيات علمية، وأول جمعية كانت الجمعية الأثرية والتاريخية والجغرافية بقسنطينة [4]تأسست بتاريخ 3 ديسمبر1852م في احد القاعات حيث اجتمع عدد من الهواة الباحثين في مجال التاريخ القديم وهم كرولي عقيد في سلاح الهندسية بالجيش الفرنسي[5]، اشتمل طاقم الجمعية على عسكريين بمختلف الرتب العسكرية[6]، مخلفة ورائها العديد من الحوليات تضمنت مقالات حول الآثار القديمة في مدينة قسنطينة وبقايا آثار الاحتلال الروماني لمدينة سكيكدة وترجمة لكتاب إفريقيا المسيحية ومجموعة من البحوث والمذكرات حيث نشر الباحثون في التراث القديم [7] .

[1] أمحمد صدوقي، النشاطات التاريخية....، المرجع السابق، ص92.

[2]أمحمد صدوقي، لجنة استكشاف الجزائر العلمي....، المرجع السابق، ص119.

[3]أمحمد صدوقي، النشاطات التاريخية والأثرية الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص98.

[4]يمينة شيباني، الجمعيات العلمية الجهوية ودورها في تأسيس المتاحف الأثرية بالجزائر خلال القرن19م، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد07، العدد01، الجزائر، 2012م، ص344.

[5]أمحمد صدوقي، النشاطات التاريخية والأثرية الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص 136.

[6]يمينة شيباني، المرجع السابق، ص344.

[7]أمحمد صدوقي، النشاطات التاريخية والأثرية الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص.ص138-139.

3- الجمعية التاريخية الجزائرية لعمالة الجزائر: أصدر الحاكم العام راندون في01 مارس1856م تعليمة بقرار إنشاء هذه الجمعية وتم تأسيسها في 07أفريل1856م بالجزائر العاصمة، حيث أضحى كل حاكم عام يتوالى على حكم الجزائر رئيس شرفي للجمعية بدافع سياسي في ميدان الأبحاث وحماية الآثار القديمة، أما الرئيس الفعلي للجمعية[1] فهو أدريان بربروجر[2]، تم تعيين أمين للخزينة والوثائق الخاصة والعمل وفق ما حددته نصوص الجمعية خاصة فيما يتعلق بميزانية النشر في المجلة التي تم تسميتها بالمجلة الإفريقية[3]، استعرض كتابها تاريخ الجزائر من العصور القديمة إلى بداية الاحتلال الفرنسي جمعت فيه الوثائق ونشرت المقالات فضمت الدراسات تاريخ الأعلام والشخصيات والمدن والحواضر، كما اشتغلوا على ترجمة المخطوطات والتعليق عليها وفهرسة أعدادها والاهتمام بجغرافية الجزائر [4].

4-جمعية الجغرافيا والآثار لعمالة وهران: تأسست جمعية وهران من طرف قاطنين بها وتم المصادقة على استحداثها من طرف حاكم عمالة وهران بتاريخ19جوان1878م، ومن مؤسسيها الضابط البحري "تروتباس" الذي عين كرئيس للجمعية في 4ماي1878م.[5]

اعتمدت هذه اللجان والجمعيات على مترجمين عسكريين ثم تعلموا اللغة العربية بهدف تسهيل عملية التواصل والتفاوض مع تلك القبائل والجماعات التي أظهرت أمامهم بطولات في معارك شديدة وبرهنت على شجاعة قوية في مقاوماتهم، وما ساعدهم أيضا

[1] يمينة شيبان، المرجع السابق، ص346.

[2]أدريان بيربروجر : ولد سنة 1801م وتنقل بين العديد من الدول الاوروبية واشتغل باحثا ومدرسا، قدم على الجزائر وعمل مراسلا ومحررا للعديد من الجرائد والمجلات منها مجلة الشرق عين عضوا رئيسا دائما في لجنة الاكتشاف للجزائر التي زارت المستعمرة سنة 1837م. ينظر: امحمد صدوقي، الكتابة التاريخية الاستعمارية الفرنسية من خلال إسهامات بيربروجر في المجلة الإفريقية، مجلة اللغة العربية، المجلد21، العدد48، 2019م، ص389.

[3]أمحمد صدوقي، النشاطات التاريخية والأثرية.....، المرجع السابق، ص144.

[4] المرجع نفسه، ص147.

[5]يمينة شيبان، المرجع السابق، ص348.

على الاكتشاف والبحث هو استعانتهم بالمخططات القديمة التي كانت تتواجد عند العائلات الشريفة والذاكرة الشفهية والملاحظة عن كثب لذلك مؤلفاتهم تلم بتفاصيل مبهرة عن المجتمع الجزائري آنذاك [1]، لقد كانت المؤلفات والمخطوطات المتعلقة بتاريخ الجزائر من أول ضحايا الغزو من إتلاف واستغلال، ومن ركام هذا العبث بالنتاج الفكري حاول الفرنسيين أن يؤسسوا مكتبة عامة في الجزائر يجد فيها الضباط الجيش والمستشرقون والمترجمون أدوات العمل اللازمة لمهمتهم في الجزائر، وكان بربروجر من أوائل من شعر بأهمية استغلال هذه المخطوطات وغزو المكتبات الخاصة ومكتبات الزوايا والمساجد[2]، واعتبر الفرنسيون أن من حقهم أن ينهبوا الجزائريين من مخطوطاتهم ليكونوا بها دراسات والكتب المحبسة على المدارس والمساجد وكذلك المكتبات الخاصة لدى العائلات الجزائرية غنيمة حرب يأخذونها عن طريق الاختلاس، وكان الضباط والجنود والعلماء والمرافقون كلهم سواء في هذه الفعل[3] هذه المخطوطات التي كان الدافع من وراء عملية جمعها هو الإطلاع على حضارة الأمة وأديانها وثقافتها ولغاتها[4]، وتشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي وتشكيك المسلمين بقيمة تراث حضارتهم حيث أصبحوا يدعون أن الحضارة الإسلامية منقولة عن الحضارة الرومانية[5].

المبحث الثاني: نماذج حول كتابات ورحلات الأنثروبولوجيين الفرنسيين.

المطلب الأول: دراسات حول منطقة القبائل.

---

[1] بريجة شريفة، المرجع السابق، ص142.

[2] أبو قاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية(1830م-1900م)،ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1992م، ص ص89-90.

[3] أبو قاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي(1830م-1954م)، ج5، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998م، ص332.

[4] مصطفى سباعي، الإستشراق والمستشرقين(مالهم وما عليهم)، دار الورق للنشر والتوزيع، د.ط، عمان، 1999م، ص24.

[5] المرجع نفسه، ص29-30.

في الدراسات الأثنوغرافية والأنثروبولوجية المتعلقة بإفريقيا الشمالية تحتل منطقة القبائل مكانة أساسية، وذلك نظرا للعديد من الدراسات التي نشرها هانوتو لوتورنو بعنوان "**بلاد القبائل والتقاليد القبائلية**" والكثير من الدراسات التي حللت الأعراف القبائلية، لقد أخذت الإدارة الكولونيالية على كاهلها منذ انتصابها النظر في عدد من جوانب المجتمع لسبر أغواره، وفهم خصوصياته الاجتماعية والثقافية بغية اختراقها، مستندة على الدراسات التي قام بها عدد من الضباط ضمن ما يعرف بالأعمال الأثنوغرافية تندرج أعمال الضابط "شارل فيرو" وفي هذا الإطار.

يعد شارل فيرو نموذجا لذلك الطراز الخاص من المثقفين الموسوعيين الفرنسيين الذين عاصروا المراحل الأولى من احتلال فرنسا للجزائر، إذ أنه ترعرع في أوساط الجيش ودوائر الشرطة هناك ثم لفت الأنظار مبكرا لشدة اهتمامه بمختلف مظاهر الحياة الجزائرية حيث سجل لهجاتها وتقاليدها[1]، ولد فيرو في نيس بالجنوب الفرنسي في 5 فيفري 1829م انخرط في الجيش الفرنسي مبكرا وأرسل فورا إلى الجزائر، تم تعيينه كمترجم فوري خلال الفترة1850م-1860م[2].

ولقد وجدنا أن اهتماماته كانت منصبة على دراسة أخبار المرابطين والعلماء وأحوال الأعيان وأنساب القبائل، وتاريخ العائلات والمدن وأصول القبائل الجزائرية، ودراسة أعرافهم وعاداتها وتقاليدها والنبش في الماضي لأحياء الصراعات والنعرات القلبية بين الصفوف [3].

وفي هذا الإطار قسمنا الدراسة إلى العديد من الجوانب الذي برزت جليا في عدد من أعماله وهي كما يلي :

---

[1]معتوق جمال، دور الرحالة الفرنسيين في تدعيم خلايا الاستعمار في الجزائر، مجلة الخلدونية، مجلد11، العدد1، 2019م، ص154.

[2]Nora LAFI, Présentation des annales tripolitaines(Laurent Charles Féraud), Editions Bouchene, paris, 2005, p8.

[3] فارس كعوان، الاثنوغرافيا الكولونيالية واختراق الفضاء القبلي الجزائري من خلال بعض أعمال بعض العسكريين الفرنسيين "شارل فيرو نموذجا"، مجلة المعيار، المجلد24، العدد50، 2020م، ص659

1- دراسة ماضي شيوخ القبائل وأصلهم:

كانت عمليات تدجين شيوخ القبائل ضمن السياسة الاستعمارية نظرا لدورهم ومكانتهم الهامة، وفي هذا الصدد لوحظ أن "فيرو"اهتم بمعرفة أصل شيوخ القبائل وبحث وكتب عن أصل أسرة أولاد عاشور حيث قال أن هناك روايات عديدة حول تحديد أصلهم فهناك من يقول أنهم من الصحراء، كما قدم "فيرو" رواية أخرى تقول أنهم ينحدرون من سلف يهودي قبيلة GUORFA حول قالمة وأنهم نتيجة الصرع دموي هاجروا من تلك إلى منطقة فرجيوة [1] وتحدث عن قبيلة OULED SOULA العربية المنتشرة في إقليم قسنطينة بقيادة "ميهوب بن شنوف" قائد بنى سليمان بالزاب الشرقي وتحدث عن كيفية كفاحه بقوة ضد تعديات الأتراك وضد منافسيه من أجل الحفاظ على بلادهم الحدودية التي سكنوها لأكثر من قرنين[2].

2- دراسة أعراف القبائل وعاداتها:

الملاحظ أن اغلب أعمال "فيرو" متعلقة بإقليم الشرق الجزائري وتاريخ قبائله ومدنه وهي أعمال أنجزها ميدانيا بالاتصال بقادة القبائل ومشايخهم الذين زودوه بوثائق هامة ونادرة جعلت دراساته تأخذ ميزة فريدة رغم تحاملها مرات عديدة، ورغم محاولة تفسير عدد من الحوادث التاريخية بما يصب في خدمة السياسية الفرنسية وعملياتها التوسعية [3] . كتب فيرو في ما يتعلق بهذا الجانب :" **... سكان القبائل الشرقية مثل سكان جرجرة حافظوا على العادات والتقاليد والأعراف القبائلية التي من المثير الاهتمام لنا دراستنا وفهمها جيدا. منطقة القبائل تتكون من عادات مليئة بالأصالة وغالبا ما تكون خشنة وبربرية"[4].**

[1] L.CH.Féraud, FERDJIOUA et ZOUGHA .Notes historiques sur province de Constantine, in Revue Africaine, N°20, 1878, p.p 5-6.

[2] L.CH .Féraud, Les descendants d'un Personage de mille et une nuit en Algérie, in R.A, N°19 1875, P13.

[3] فارس كعوان، المرجع السابق، ص659.

[4] L.CH.Féraud, Mœurs et coutumes kabiles, in Revue Africaine , N°6, p272.

أشار فيرو اعتمادا على الوثائق التي عثر عليها أن سلطة القاضي كانت نسبية نتيجة فساد النظام القضائي فالفرد يلجأ أحيانا للقاضي ليعطيه سندا قانونيا لملكية إحدى أراضي الغير ولما يرفض يقوم برشوته وتهديده بالسلاح، وركز فيرو في دراسته عن منطقة جيجل على سلطة القبيلة على اعتبار أنها تحظى بالشرعية ولها سلطة تنفيذ قرارات الأعراف وإن القبائل لا تعترف بأي سلطة عداها، كما نشر فيرو النص العربي للأعراف وعوائد قبائل زواغة واراس وأولاد يحي وأولاد عيدون وبني خطاب وغيرهم، يضم النص مجموعة الأعراف المتعلقة بالحياة الاجتماعية وعقوباتها كالسرقة والخيانة وغيرها.. [1].

ولعل الطريف في هذه الدراسة هو هذه المعلومات المتعلقة بتقاليد الزواج ولأسرة عموما إذا صح فعلا ما سجله في هذا الجانب .

أ- معلومات أثنوغرافية عن الزواج وتكوين الأسرة: قدم فيرو معلومات أثنوغرافية عن الزواج وتكوين الأسرة وقد استقى هذه المعلومات من روايات شفوية قدمها له الأعيان حيث قال: "قبل تأسيس الدائرة القضائية الفرنسية أي قبل تعيين قضاة لدى هذه القبائل، كان القبائل يعقدون القران حسب عادات وتقاليد أسلافهم وكان الزواج يتم بطريقتين زواج الجدي وهو القيام بذبح الجدي رمزا بترسيخ الشروط التي أقرتها العائلات من مهر العروسة، من خلال زواج الجدي تكون الزوجة ليس ملكا فقط لزوجها طيلة حياتها بل تصبح بعد موته جزءا من الإرث فتصبح ملكا للورثة، أما النوع الثاني هو زواج المعطية وذلك عندما ترتكب عملية قتل تحكم الجماعة على الجاني بدفع الدية التي تقدر بأكثر من ألف فرنك وإذ لم يتمكن الجاني من جمع المبلغ يتم اللجوء إلى حل آخر وهو تقديم بنت من عائلته ومعها خمسون باسيطا تسمى حق الكفن أي كفن الميت"[2].

[1] فارس كعوان، المرجع السابق، ص662.

[2] المرجع نفسه، ص665.

ب- بعض الخصائص اللغوية :

تكلم المؤرخ الأنثروبولوجي فيرو عن لهجة التخاطب عند القبائل قائلا:" **إن الأشخاص دون الأربعين لا يستعملون لغتهم القبائلية بل ولا يفهمونها ،وهي عبارة عن خليط من عربية مهمشة ومفردات بربرية وكلمات مقاربة ولفهم لغتهم بالنسبة لمن يجيد عربية إفريقيا الشمالية لا بد من التحادث معهم والاستماع إلى الأحاديث المتبادلة بينهم أياما معدودة**"

ت- معلومات في الجانب الديني:

يواصل فيرو حديثه في هذا الجانب قائلا: "قبائل هذه الجهة مسلمون ولكن إسلامهم شكلي فهم يقبلون من القرآن ما يوافق مصالحهم أو ما يثير نزعة التطير عندهم، ولكن العادات والأعراف التي تلقوها من أسلافهم يمكن أن تلغي النص القرآني، فمثلا يحدث أن يأمر قاضي أو طالب بتطبيق نص الشريعة الإسلامية ويرفع عقيدته بذلك ولكن لا أحد يعيره اهتماما فالجماعة تحكم بموجب العادة (العرف) ومن هنا جاء المثل السائر عند هؤلاء القبائل :عند القبائل القاضي يحكم ولكن لجماعة تبطل حكمه "، كما ذكر أن الطالب في أساس هو معلم القرآن وهو الذي يتولى في غالب تحرير مختلف العقود والاتفاقيات واستشارات الدينية قائلا "إذا كان عند قبائلي قضية يريد تسويتها مع جاره فإنه يذهب إلى يكون قد وصل إلى القبيلة حديثا ويترجاه أن يحرر له قائمة شهود يميلها هو عليه يعلنون بأنه هو المالك الشرعي والوحيد للعقار محل الخلاف، وإذا رفض الطالب فإن ذلك الشخص يغيب عنه أياما ثم يعود إليه ولكن هذه المرة يأتيه ومعه سلاح وينذر الطالب قائلا :"هاهي خمسة بسيطة ثمنا لورقك (في يد) وهاهي خمسة رصاصات أضعها في بندقيتي وفي بنادق أبنائي وسنفرغها فيك إذا لم تنفذ ما أطلبه منك (في اليد الأخرى).[1]

[1] العربي عقون محمد، الاثنوغرافيا الاستعمارية "شارل فيرو نموذجا"، مجلة إنسانيات، مجلد9، العدد28، جوان2008م، ص.ص 58.59.

وعن أهم الدراسات الأثنوغرافية العسكرية حول منطقة القبائل، نجد دراسة الجنرال دوماس من أهم الأنثربولوجين الفرنسيين في القرن التاسع عشر الذين اهتموا بمنطقة القبائل الذي بحكم مهنته العسكرية ووظيفته الإدارية في المكاتب العربية كان قادرا على الدخول في اتصال مباشر مع السكان والمشاركة باستمرار في إدارة شؤونهم السياسية، وبالتالي جمع عدد كبير من الوثائق الأصلية والمثيرة للاهتمام حول عادات وتقاليد القبائل، في الواقع سمحت له هذه البيانات الوفيرة بكتابة حوالي عشرة كتب مكرسة للجزائر بشكل عام وللقبائل بشكل خاص[1]، ويعتبر كتاب سلوكات وتقاليد الجزائر Mœurs et coutumes de l'Algérie من أهم مؤلفاته فهو بحث أنثروبولوجي قام به سنة 1853م، قسمه إلى ثلاث أجزاء (التل، القبائل، الصحراء) كل جزء يحتوي على تفاصيل مهمة وليدة بحوث ميدانية عالية الدقة عن ثقافة المجتمع الجزائري توصل إليها بفضل تعلمه اللغة العربية واطلاعه كذلك على الدين[2]، إذ افترض دوما أن القبائل أسلمت بشكل ضعيف تحت ضربة السيف وأن خلفية المسيحية لا تزال موجودة بينهم في وقت مبكر من عام 1853م حيث قال:" **على عكس النتائج العالمية للعقيدة الإسلامية نكتشف في منطقة القبائل طاعة الشريعة المقدسة للعمل والنساء يتم إعادة تأهليهن بشكل أو بآخر والعديد من العادات التي تتنفس فيها المساواة والأخوة والمساواة المسيحية** "[3] .

وبحث الجنرال عن أصل تسمية القبائل التي وجد لها عدة روايات وقال إن العلماء يرجعونه إلى أصل فينيقي بعل وهو اسم عام للآلهة السورية باللغة العبرية وتم بالفعل تسمية سكان الجبال في شمال إفريقيا بالقبائل بعد غزو العرب[4]، كما خصص جزء من كتابه للغة

[1]AHOUARI Zahir, portrait et analyse des écrits de melchior joseph Eugénedaumas sur la kabylie du dix-neuviémesiécle, oussour Al jadida, N°11-12, february 2013-2014 , p57.

[2]بريجة شريفة، المرجع السابق، ص144.

[3]AHOUARI Zahir, op.cit, p64.

[4]Le Général DAUMAS, Mœurs et coutumes de l'Algérie, libairie.de L.Hchette, paris, 1853, p150.

الأمازيغية وقال أنها موحدة بين جميع القبائل الساحل البربري وإن بعض القبائل تتحدث باللغة العربية وقد قسم اللهجات على النحو التالي:

أ- الزناتية: توجد بين القبائل القبائلية التي تمتد من الجزائر العاصمة إلى الحدود المغربية.

ب-الشلاحية: وهي لهجة التي تستخدمها جميع القبائل المغرب تقريبا.

ج-الشاوية: تنتمي إلى القبائل التي اختلطت بالعرب[1].

وورد في كتابه سلوكات وتقاليد أن القبائل كانوا يدرسون اللغة العربية وذلك للعديد من الأغراض منها تلاوة القرآن العظيم أو من أجل التواصل مع العرب للتجارة والسفر[2]، كما تكلم عن الثوب القبائلي هو الشلوكة وهو نوع من القميص الصوفي يتجاوز الركبتين ومنازلهم يوصفها أنها تبنى من الحجارة الجافة ويتكون من غرفة أو غرفتين فقط[3].**(ينظر الملحق 1).**

ومن جهة أخرى درس المؤرخ كاريت بلاد القبائل من حيث التقسيمات الإدارية وطبيعة الأرض وتقاليد العمل والمعاملات التجارية وكذا العلاقات السياسية والاجتماعية [4] ووضع كتابه بعنوان دراسات على القبائل"الاستكشاف العلمي للجزائر" إلى مجلدين الأول يتضمن وثائق عامة تتعلق بطبوغرافية المنطقة والتجارة والسكان في منطقة القبائل، والثاني مخصص للوصف التفصيلي للقرى بدأها بقرية بوجي القديمة، وقال كاريت أنه وجد حقيقة مدهشة للغاية والتي يبدوا أنها راسخة لليوم بطريقة لا تقبل الجدل وهي الوجود الفعلي للغة الليبية أي اللغة التي يتحدث بها السكان الأصليين في إفريقيا، ليس فقط من قبل الغزو العربي والغزو الروماني ولكن حتى قبل الغزو الفينيقي لا تزال لغة البربر الذين هم على وجه التحديد الممثلين الحاليين للعرق الأصلي[5]، وتكلم عن الأسواق وشؤون الحكم في منطقة

---

[1]Le Général DAUMAS, op.cit, p. p 152-153.

[2]Ibid, p155.

[3]Ibid, p167.

[4] أمحمد صدوقي، النشاطات التاريخية والأثرية .... ، المرجع السابق، ص98.

[5]Carette, études sur la Kabilie. Exploration scientifique de l'Algérie, Imprimerie de cosse et j.dumaine, paris, 1849, p7.

القبائل حيث قال:" **في أهم أسواق القبائل يجلس القاضي وهو شخصية لا يستهان بها. هو رجل قانون والسيد العظيم يحكم فقط في القضايا الدينية..**"، إذ أن الأسواق في نظره ليست مكانا لربح فقط بل تجمع للسكان تفض فيه النزاعات بواسطة القاضي الذي ينحدر من أصول مرابطية[1] .

خصص كاريت فصلا استعرض فيه المسار التاريخي لبلاد القبائل حيث بدأ بملخص تاريخي يقودنا عبر الفترات الرومانية والوندالية والبيزنطية والعربية إلى نهاية الفترة التركية، ليتشكل بعد ذلك الدستور الداخلي للمنطقة وهو مزيج من ثلاثة أشكال أرستقراطية ودينية وديمقراطية هذه الأخيرة سادت كل طبقات المجتمع القبائلي من خلال قوانينهم ومعاملاتهم واختيارهم لممثليهم في السلطة[2].

المطلب الثاني: دراسات حول منطقة الأوراس.

لقد حظيت منطقة الأوراس بمكانة هامة في الكتابات الأنثروبولوجية من طرف الفرنسيين، فتضمنت كما هائلا من المادة حيث أن أغلب الدارسين اتبعوا مسارات محددة وسهلة في هذه المنطقة بين المدن والقرى المنتشرة في الأوراس وتسجيل كل ما رأوه سمعوه من طرف السكان المحليين.

ضمت هذه الكتابات وصفا وشهادات للجانب الاجتماعي والثقافي لحالة الأهالي فنجد الباحث زاكون يصف الحالة المعيشية للأهالي قائلا:" **تنام الأسرة بأكملها على حصائر مماثلة والتي يتم توزيعها بعد وقت النوم..**" كما تحدث في هذا الصدد عن الأوضاع المتردية التي كانت يعيشها أهالي هذه المنطقة هذه المنطقة منها النقص الفادح لمواد الغذائية والمجاعة ونقص التغذية [3] .

[1]Carette ,op.cit, p12.
[2]Ibid, p14.
[3]J.ZACCONE, Batna a Tuggurtet au Souf, Librairie Militaire, paris, 1865, p16.

وقد ركز في كتابه على وصف اللباس فنراه يقول: يرتدي الرجال القندورة والبرنس بالإضافة إلى قبعات الشواشي المصنوعة من الصوف، أما الأثرياء فيرتدون تحت الحايك سترة صدرية مطرزة وسروال قصير وأحذية حمراء في العادة باهضة الثمن أما النساء الفقيرات فيرتدين القندورة وقميص من القطن ويغطيين رؤوسهن بالعجار[1]. **(ينظر الملحق2 و3).**

كان لمنطقة الأوراس نصيب في كتابات المؤرخ كاريت إذ قال:" **إن الأوراس عبارة عن ستار من الجبال تقع جنوب السباخ تحيط بها مجموعة من الهضاب...**"، ووصف سكانها أنهم قبائل مستقرة**Tribus sédentairses**وهي عامة تجوب نفس الإقليم وتمتهن الزراعة فيها، البعض منها تسكن القرى وتزرع الفواكه أما بعضها الآخر تسكن الخيام وتزرع الحبوب[2]**.(ينظر الملحق4).**

ومن بين النماذج الأنثربولوجية التي ساهمت في إثراء هذه الدراسات نجد الباحثة جرمان تيون (Germaine Tillion)، وهي باحثة فرنسية المختصة في مجال الأنثربولوجيا التي ولدت سنة 1907م في قرية أليجري بقرية اوت لوار(Haute loire)، تابعت دراستها العليا في باريس في مدينة اللوفر في جامعة السوربون بعد عام 1925م بدأت في دراسة علم الأعراق وتخرجت من معهد الأثنولوجيا عام 1932م[3]، تدربت في الأثنولوجيا والاستشراق على يد مارسيل موس لويس ونفذت أربع محطات طويلة بين الشاويين والأوراس من عام 1934م إلى 1940م[4]، حيث عايشت أهم الأحداث التاريخية التي مرت بها الجزائر أثناء فترة الاحتلال الفرنسي خاصة وأنها تواجدت في أربع مرات متقطعة أولها كانت عند تحصلها على منحة من اجل القيام بمهمة علمية كلفت بها هي وزميلتها الباحثة "تيريز ريفير" من

[1]J.ZACCONE , op.cit, p20.
[2]M.CARETTE et WARNIER, Description et division de l'Algérie, librairie de l.hachette et cio, paris, 1847, p21.
[3]AUGSTIN Barbara, Germaine tillion une résistante que a traversé le Siécle, hommes migations, N°1273, 2008, P197.
[4]Christian bromberger, Germaine Tillion (1907-2008), Revue française d'anthropologie, université de provence , N°189, 2009, p11.

طرف اللجنة العلمية للمعهد العالي للدراسات اللغوية والحضارات الإفريقية بلندن، كان الهدف من ورائها كما ورد في الوثائق الإدارية يتمثل في دراسة ميدانية اجتماعية وأثنوغرافية حول منطقة الأوراس وسكانها، قامت بمهمتها العلمية الأولى بالأوراس في منطقة" لحمر خدو" مع قبيلة آث عبد الرحمان شاركت أهل الأوراس حياتهم من أعراس واحتفالات وبحثت في العادات والتقاليد[1]. **(ينظر الملحق5).**

أجرت العديد من الدراسات الاستقصائية حول حالة المرأة في العالم الإسلامي ودرست في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، قادت فريقا بحثيا حول المغاربين في الأدب الشفوي، اللهجة، وعلم الأعراق في المجال العربي والبربر ومن أهم مؤلفاتها (Auréienne l'Algérie) والحريم أبناء العم [2]، وقد درست ريفير تقنيات الغزل والنسيج (الأزياء، الخيام، وتقنيات الزراعة وتربية المواشي). **(ينظر الملحق 6 و7).**

وسجلت مختلف هذه التقنيات إما بواسطة الكاميرا أو عن طريق التصوير الفوتوغرافي ودرست أيضا تقنيات الزراعة وتربية المواشي والبناء بالإضافة إلى كيفية حفظ الأغذية، ودرست تيون نسب العائلات المشكلة للقبيلة كما أعدت دراسة تخص الأعياد الموسمية واحتفالات الولادة، الختان، والزواج[3].**(ينظر الملحق 8 و9).**

كما قامت بتحليل اجتماعي للحريم إذ رأت أن المرأة في هذه المنطقة تتعرض للإذلال وأنها أقل قيمة من الرجل وهذا ما ورد في قولها:" يشكل الإذلال الذي أصاب وضعية المرأة في العالم ظاهرة عامة فعلا، فالمرأة اضعف جسمانيا من الرجل وبالنسبة إلى هذا الأخير

[1]بن جيلالي فلة، جرمان تيون الباحثة العلمية التي صنعتها الأحداث السياسية، مجلة البحوث السياسية والإدارية، العدد10، الجزائر، د.ن.ت، ص.ص208-209.

[2]Christian bromberger, op.cit, p12.

[3]غرينة عبد النور، الأوراس في الكتابات الفرنسية ابان الفترة الكولونيالية(1840م-1939م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الأوراس الحديث و المعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2009م. 2010م، ص143.

كان ملائما وممكنا في الوقت نفسه تملك امرأة، وهي كذلك تعامل ككائن ناقص عقل....." [1]

وفي ذات السياق تتحدث صاحبة كتاب الحريم وأبناء العم أن النساء يرثن عندما تدمر القبائل ولذلك كان هناك ما يعرف بالزواج الداخلي أي زواج أبناء العم من نسب أبوي حيث كانت بعض العائلات الكبرى ومنذ أقل من عشر سنوات تعتبر زواج بناتها من أجانب أمرا مخزيا في حين كان الزواج الغير متكافئ للأبناء من أجنبيات أمرا مقبولا ومحتملا [2]، استندت الباحثة جرمان على وقائع تاريخية في فهم هذا المجتمع والتي تطرقت إليها في مؤلفها " الحريم وأبناء العم" في قائلة: **" إن نهاية ما قبل التاريخ هي المرحلة التي يجب أن نضع في إطارها ليس نشأة الحريم ولكن نشأة سيرورة التي ستؤدي إليه، إن تركيباتنا ستكون مفيدة أيضا في الحاضر أكثر راهنة عبر ماض سحيق "**[3]، ومن خلال هذا العمل تركت الباحثة لمستها الأنثوية إذ يتعذر علينا فهم وإدراك حقيقة وخصوصية الصور التي التقطتها عن الأوراس لاسيما صور النساء والحلي والممارسات الأنثوية اليومية والأعراس والبيوت والأطفال والألعاب التي لم يكن بالإمكان التقاطها إلا عن طريق امرأة[4] .

كما أشار شارل فيرو إلى هذه المنطقة في دراسة له في المجلة الإفريقية عن تبسة بموقعها القريب من إيالة تونس حيث ركز على النزاع الحدودي بين الجارتين، كما حدد موقع المدينة وقال أنها كانت تقع في منطقة تسيطر عليها قبيلة النمامشة، وذكر أن منطقة قد عرفت في القرن 17م صراعا داميا بين أفراد عائلة " أولاد بن عربية" المدينة الأكثر عراقة بالمدينة والتي انقسمت بسبب الخلافات الداخلية العنيفة، في نفس السياق بحث في أصل

[1] جرمان تيون، الحريم وأبناء العم(تاريخ النساء في المجتمعات المتوسط)، ترجمة عز الدين الخطابي وإدريس كثير، دار الساقي، بيروت، 2000م، ص22

[2] المرجع نفسه، ص32.

[3] المرجع نفسه، ص24.

[4] بن فلة جيلالي، المرجع السابق، ص212.

القبائل بمنطقة عين البيضاء ولهجتهم في قوله: "**فإن أبناء عين البيضاء الذين هم في الواقع مسلمون غير كاملين ينتمون بأعداد كبيرة إلى مجتمعات دينية....**" [1].

لقد كان أهم عمل بالنسبة للمؤرخ وعالم الاجتماع إميل ماسكاري أطروحته عن تشكل المدن عند السكان المستقرين في الجزائر الذي أصدره عام1886م، لقد جمع ماسكاري في هذا الكتاب أفكاره وآرائه عن الأصناف الثلاثة عن السكان والتي كانت دائما قد استقطبته وأثارت انتباهه فكان كتابه عبارة عن مقارنة بين سكان القبائل في جرجرة والشاوية في الأوراس وبني ميزاب وكتب عن طراز البناء عندهم [2]، كما نراه قد بالغ عندما رأى أن بعض المناطق من الأوراس مثل سكان القرية "منعة" يقيمون احتفالات ذات أصل وثني أو مسيحي كدلالة عن المصالحة بعد مضي فصل الشتاء وحلول الربيع فهو يحاول جاهدا أن يجد الصلة التي ربطت سكان المنطقة بالأجناس الأوروبية من خلال بعض الممارسات[3].

المطلب الثالث: دراسات حول منطقة الصحراء.

اهتمت الكتابات الفرنسية بالصحراء الجزائرية من خلال تقديم وصف لها وإبراز مزاياها وخصائصها والتركيز على أهمية موقعها وإمكانياتها، وكذلك بالتصور الغربي ورؤيته للمجتمع الجزائري الصحراوي وعاداته وحياته ولغته ودينه كما كشف لنا انطباعاته السلبية والإيجابية التي أخذها هؤلاء الرحالة بإحساس، بالإضافة إلى هذا قد عكست لنا هذه الكتابات عقلية المؤرخ الغربي الشغوف بحب التملك والغزو وحب المعرفة والتي اعتمدت فيها على الملاحظة العامة حول الناس والطبيعة.

ومن أهم الكتاب والرحالة الذين كتبوا عن الصحراء الجزائرية أوجين فرومنتان الذي ألف كتاب " صيف في الصحراء"، والذي كتب فيه أو سرد أهم المحطات التي زارها في الصحراء من بينها منطقة الأغواط التي وصفها وكأنه يرسم لوحة فنية للمناظر والأشياء التي

---

[1] L.CH.Féraud, Ain beida, in R.A, N°16, 1872, P400.

[2] عبد النور غرينة، المرجع السابق، ص135.

[3] المرجع نفسه، ص137.

عايشها فهو يتأمل ويحلل ما يراه وقال: " **هي جزيرة ضائعة في الصحراء ومكان يعيش فيه المرء دون التأثر ببعد المسافة**"، كما تحدث عن أرض الأغواط بأنها أرض مستوية مليئة بعشب الحلفاء والأغصان الشائكة وكذلك عن معاناته في المنطقة وذلك بسبب الزوابع الرملية[1] .

ووصف في رحلته مظاهر أهل الأغواط بمختلف فئاتهم من بدو وحضر وحتى من جاورهم من سكان الصحراء نساء ورجال المجتمع الأغواطي من حيث ألباستهم ومنها الحايك حيث قال:" أن اللباس يكون من الحايك وخمار وحزام وأحيانا ملحفة فالحايك من القطن الهش ولونه بين الأبيض والأسود والرمادي"، كذلك وصف لباس المرأة وصفا دقيقا وماترتديه من أعلى الرأس إلى القدمين وحتى الجوارب والتطريز الموجود عليها، بالإضافة لظاهرة الزواج عند البنات والفاصل العمري لدى المرأة أي بين مرحلة الطفولة والبلوغ والنضج وقال:" **انه لا يوجد مرحلة وسطية أو انتقالية بين الطفلة والمرأة لأنها تخطب في سن العاشرة وتتزوج في سن الثانية عشر ومع سادسة عشر تصبح أما لثلاث مرات**"، وتحدث عن ظروفها الصعبة فهي في الوقت نفسه الأم والممرضة والعاملة والحرفية[2]، من ناحية أخرى تطرق إلى حال مدينة الأغواط بعد السيطرة الاستعمارية وتأثير الحرب عليها إذ ما تزال تحمل آثار الاحتلال وأبوابها وأزقتها ومنازلها بادية الحروق والجروح والكسور[3] .

ثم ننتقل إلى الرحالة "هنري دوفيرير" الذي اهتم بمنطقة التوارق والتي ظهرت جليا في كتاباته ومؤلفاته من بينهم كتاب "توارق الشمال" حيث استهل الرحالة فيه بالرسم الجغرافي للمناطق التي اكتشفها أو التي مر بها فلم تترك كتاباته جبلا ولا واديا ولا نباتا إلا وصفه

---

[1]EUGENE Fromentin, Un été dans LE SAHARA, Alphonse LEMERRE, EDITEUR , paris P.P 138-139.

[2]درعي فاطمة، الأغواط من خلال الرسام الفرنسي أوجين فرومنتان، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية والحضارة، المجلد05، العدد01، الجزائر، 2023م، ص.ص28-29 .

[3]المسعد جوادي، عيسى بريهمات، المدن الصحراوية الجزائرية في أدب الرحلة الفرنسية بين التصوير والتنميط مدينة الأغواط –انموذجا– ، مجلة أبوليوس، المجلد09، العدد01، جانفي2022م، ص84.

وسماه حسب التسمية التي يطلقها السكان مستعينا بكتابات الرحالة الذين سبقوه[1]، وقد وصف دوفيرير زعماء التوارق والمحاربين من خلال الهندام ونوعية الأسلحة المستعملة لدى الفرسان والمقاتلين من سيف ورمح ودرع كما تعلم التمييز بين الأسلحة والتمييز بين هوية المقاتلين من خلال الزي، وجمع وكتب عن العمليات الاقتصادية في بلاد التوارق والذي تعرف منهم على محتوى القوافل وطرقها ونظام أوقات سيرها وأهميتها والنشاط التجاري وإضافة إلى بعض الأنشطة مثل الرعي والزراعة وتركيزه على الأسواق التي يتزود منها منطقة الهقار وطرق القوافل، وفي هذا السياق غاص دوفيرير في المجتمع التارقي وركز خاصة على المرأة التي كانت تحظى بمكانة هامة وسط مجتمعها فهي تمثل الأم وتمنح الزعامة لابنها وحرية الملك لدى المرأة ووصف هندامها ،ومسألة الطبقية والاحتفالات[2].

وفي منطقة أخرى من مناطق الصحراء الجزائرية وصف فيلكس هاتفورد من خلال كتابه"في بلاد النخيل بسكرة" وقال: "**أنها واحة التي تسبح في بحر من العنبر وصفاء سمائها وشمخة نخيلها وجمال نسائها النايليات اللواتي يرقصن برشاقة ما يترك الحرير جمالالذي يرتدينه أكثر جمالا...**"، كما تحدث الكاتب فليكس عن المحلات التجارية والسكنات المتواضعة منها والفخمة ذات الطابع المعماري الجميل ثم يستحضر في صورته النمط الأندلسي كما وصف السوق الذي يتواجد فيه المقاهي والمطاعم التي تقدم أطباق تقليدية وأماكن بيع التوابل التي تختلط روائحها بروائح الجلود والطلاء، وبحث في أصول بني ميزاب الذي يمتهنون صناعة القماش والحايك والقفطان وكذلك تجارة الذهب، وعن الإحتفالات الخاصة بهذه المنطقة تكلم الباحث عن سباق الخيل الفانتازيا وما كان يسمى

[1]HENRI DUVEYRIER , les touareg du nord, CHALLAHKL, paris , 1864, p06.

[2]كديدة محمد مبارك، مجالات اهتمام الكتاب الغربيين بمناطق أقصى الجنوب الجزائري هنري دوفيرير –انموذجا– ، مجلة آفاق علمية، الجزائر، العدد11، 2016م، ص. ص68–69.

بعيد الربيع والذي يتم فيه استعراضات للفرق الفلكورية القادمة من مناطق عدة (الجلفة، الأغواط)[1].

أما ناحية الطبقات الاجتماعية قسم دوقالونDe Gallond طبقات المجتمع في المسيلة إذ قسم المجتمع المسيلي إلى بدو وحضر.

فالبدو تشكلوا من خلال اندماج السكان الأصليين مع الغزاة العرب مارسوا مهنة الزراعة وتربية المواشي التي تدفعهم لتنقل بحثا عن الكلأ والمناخ المعتدل، أما من ناحية الثقافية والاجتماعية تنتشر الأمية مع وجود عدد محدود للمتعلمين ويتصفون بالتعصب الديني ويتبعون المذهب المالكي، والحضر هم سكان المدينة لا يملكون الأغنام بل يقومون بتربية الماعز والبقر للتزود بالحليب أما البغال للتنقل كما يشتغلون بالبستنة حيث يملكون حدائق مليئة بأشجار التين، المشمش...، والصناعة فقد كانت متنوعة عندهم منها صناعة الأواني الفخارية والخشبية والصناعة النسيجية كالبرنوص والحايك والزرابي والصناعة الجلدية المعروفة بالفيلالي بالإضافة للصناعة الجلدية وصناعة الأحذية وسروج الخيل أما أنشطتهم التجارية تتواجد وسط البلد تنتشر فيها العديد من المقاهي الشعبية التي يقصدها عادة سكان البلد[2] .

من أهم الأخبار التي قدمها الرحالون عن أهل الصحراء والعرب ما صاغه الرحال ج.بول عن العربي وخيمته وعن العادات المرتبطة بالعيش داخلها، كما ركزت لويس ريجيس في رحلتها أكثر على عادات الانديجان بمختلف جنسياتهم وخصوصياتهم الأثنوغرافية فاهتمت بالحياة اليومية للرجال والنساء وكذلك عادات العرب في مزاولة أعمالهم وزيارة النساء للمقابر يوم الجمعة وعادة عمل الغداء إلى المقابر وتفصيل حول مساجد العرب المسلمين

[1]عبد القادر بومعزة، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، الجزائر، 2016م، ص.ص37-38.

[2]عيسى بن قبي، انطباعات حول مدينة المسيلة من خلال الرحالة الأوروبيون في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، مجلة القرطاس، العدد9، 2018م، ص.ص.ص 121-122-123.

وزواياهم وبيوتهم، كما تطرقت إلى مسائل عديدة من العادات كالزواج والطلاق ويوميات المرأة العربية ولباسها وأوصافها الجسمانية، وجورج روبرت الذي تطرق لأصول الإنسان الصحراوي وصفاته وعاداته وتقاليده غير أن أفكاره ودراسته لا تخلوا أبدا من التحيز والعصبية [1].

قام أدريان بيربروجر بدراسة أنثروبولوجية حول ظاهرة تعدد الزوجات إذ حاول إعطاء تفسير أنثربولوجي لظاهرة التعدد عند المسلمين تطرق فيها إلى دوافع وطرق معالجتها، ورأى أنها تشهد إقبالا عند جحافل البدو والرحل سكان الخيام الذين يتميزون بالحركة والتنقل وتنعدم في المناطق الحضرية عند سكان المدن الذين يتميزون بالاستقرار وهي في نظر بيربروجر من الأخطاء الشائعة في أعراف الأسرة الجزائرية التي يجب علاجها[2].

ومن هنا تشكلت لنا رؤية بأن الإدارة الاستعمارية الفرنسية قد جندت جيشا من المستشرقين والانثربولوجيين لدراسة الجزائر عامة والمجتمع بصفة خاصة، وذلك من خلال رحلات استكشافية، فقد أخذ هؤلاء العملاء الفرنسيين على عاتقهم مسؤولية الحصول على جميع المعلومات التي تسهل لفرنسا تحقيق أغراض اقتصادية وعسكرية توسعية، فقاموا بتدوين الجوانب الثقافية هذا من جهة ومن جهة أخرى نستطيع القول أن هناك بعض الأعمال والدراسات التي كانت تتميز بالموضوعية العلمية أمثال أعمال الباحثة "جرمان تيون" حول الأوراس التي تحمل في العديد من مناظر التي تعكسها الصورة التي التقطتها لاجل هذه الدراسات فهي مناظر عادية طبيعية التي من ممكن ملاحظتها اليوم في عصرنا هذا التي نقلت العادات وتقاليد المجتمع الجزائري بصورة طبيعية وهذا ناتج لمعايشتها لهم فترات طويلة .

---

[1] انساعد سميرة، الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الفرنسيين خلال القرنين 19م و20م تسجيل فوتوغرافي أم تصوير تخييلي، مجلة الدراسات، العدد2، ديسمبر2012م، ص.ص26-27.

[2] أمحمد صدوقي، الكتابة التاريخية الاستعمارية....، المرجع السابق، ص400.

الفصل الثالث:

أهداف المشروع الأنثروبولوجي الاستعماري على الجزائر.

المبحث الاول : استراتيجيات المشروع على الهوية الوطنية .

المطلب الأول : طمس الدين الإسلامي.

المطلب الثاني : اللغة العربية.

المطلب الثالث : التشكيك في الأصول العرقية للجزائريين.

المبحث الثاني : أبعاد المشروع الأنثروبولوجي.

المطلب الأول : التنصير.

المطلب الثاني : إثارة النزعة البربرية.

المطلب الثالث : محاولة نفي الدور الحضاري.

سعت السياسة الاستعمارية من خلال توظيف علماء ومؤرخيين أنثروبولوجيين لدراسة المجتمع الجزائري من كل النواحي الحضارية والاجتماعية والدينية والثقافية كدراسة معمقة لتحقيق أهدافها المرجوة، التي تمثلت في إلغاء الوجود التاريخي للجزائريين وكذلك طمس الدين الإسلامي بإرسال حملات تبشرية تنصيرا للمجتمع ومحاربة اللغة العربية بشتى الوسائل كما خلقت التفرقة بين الشعب العربي والقبائلي وتشكيك في أصوله العرقية.

المبحث الأول: استراتيجيات المشروع على الهوية الوطنية

المطلب الأول: طمس الدين الإسلامي

شكل الدين الإسلامي محورا أساسيا في الدراسات السوسيولوجية الكولونيالية بالجزائر باعتباره احد مقومات المجتمع الجزائري وأحد أهم روابط أفراده ببعضهم بعض، لذلك نال قسطا من البحث والتنقيب حيث درست الزوايا والأولياء الصالحين والمساجد والفرق الدينية وغيرها[1]، لابد من الإشارة هنا إلى أنه يتم الاهتمام بالدين ذاته كنسق ثقافي تبلوره ممارسات معينة وليس مثلا بالفاعلين الحاملين لراية الدفاع عنه خاصة الطوائف، وذلك لسبب بسيط مرتبط بالواقع الجديد الذي قضى على كل أشكال المقاومة المادية العسكرية والتي كانت الطوائف الدينية نظرا لانتهاء الحاجة العملية المستعجلة لدراستها مثل ما كان الحال مع الأنثروغرافيا العسكرية هنا[2] .

استند الموقف الاستعماري المتخوف من خطورة التنظيمات الطرقية على نتائج الدراسات الاستعمارية حول المقاومة الجزائرية مفادها أن القناعات الدينية هي الخلفية التي قام على أساسها المبدأ الرافض للوجود الاستعماري والداعية إلى مقاومته، وهي النتيجة نفسها التي اتفقت حول التقارير التي قدمها ضباط المكاتب العربية في السنوات الأولى حيث قال الجنرال بيدو :" لقد بين لنا التاريخ المتوافق مع العقل في كل مكان الغلو الديني المتحكم في الرأي العام حينما يكون الشعب على قدر غير ذي بال من التعلم، كما لاحظنا في كل مكان

[1] عزيزة خلفاوي، المرجع السابق، ص.ص6-7.

[2] وداد دريوش، المرجع السابق، ص232

أن التعصب وللاتسامح يزولان معهما خرافة أمام تقدم التعليم العام[1]. ومن بين الدراسات حول الفرق الدينية نجد دراسة النقيب "دو نوفو" بعنوان Le khouane ,ordre religeux le muslman chez، وسخرت الإدارة الاستعمارية كل الوسائل الممكنة لفهم المنظومة الطرقية من أجل ذلك قدمت تسهيلات للضباط الأنثروبولوجين من أجل الوصول إلى الحقيقة هذه المؤسسات الروحية ذات التأثير على الأهالي الجزائريين وكانت أول هذه المؤلفات الدراسة التي قدمها "دو نوفو"[2]حيث قال :"أن اتحاد هذه الطوائف ضد الاستعمار بعد مقاومة ذات طابع ديني وحرب وطينة غايتها الدفاع عن الأرض والحفاظ عليها بشكل مستقل عن القوة الأجنبية، حيث بوجود هذه الحقائق من المهم البحث والدراسة كل ما يتعلق بالدين والمؤسسات والأعراف التي أسسها، من أجل إيجاد حل للمشكلة الجدية التي يتعين على فرنسا الآن حلها[3]"، أجريت هذه الدراسة المعمقة للحصول على المعلومات حول معرفة ما إذا كان جميع قادة المتمرد لديهم علاقات مع الجمعيات الدينية المعينة نجد اسم KHOUAN وأكد الكاتب أنه من الضروري التحقيق في الجانب السياسي لهذه الطوائف الدينية[4]، كان الهدف من خلال هذه الدراسة جمع أكبر قسط من المعلومات حول الفرق الدينية من حيث عدد رجالها، عدد الخيول التي تكتسبها ميزانيتها، مساحة أراضيها، عدد ونوع الأسلحة التي تمتلكها، حيث يقول في كتابه السابق الذكر:"من خلال اهتمامنا بالتنظيمات الدينية التي تتقاسم فيما بينها سكان الجزائر، كان هدفنا الكشف عن بعض الجمعيات التي يجب علينا أخذ الحذر منها، لأن كل جمعية قوة، وبالنسبة للرجل الذي يريد ويعرف تسيرها فهي سلاح فتاك يستطيع تسخيرها في تحقيق مشاريعها"[5] .

---

[1] حميد قريتلي، الزوايا والطرق الصوفية في السياسة الاستعمارية في الجزائر (1870م-1914م)، مجلة الفكر، المجلد6، العدد2، المدية، ديسمبر2022م، ص219.

[2] المرجع نفسه، ص222.

[3] Le capiteain deneveu, les KHOUAN.ORDRES.religieux chezles musulmans De l'Algérie ,Imprimerie De A –Guyot, Iuprieur du roi, paris, 1846, p p8.9

[4] Ibid, p13

[5] عزيزة خلفاوي، المرجع السابق، ص7.

كما توصلت هذه الدراسة إلى أن أشد الطرق الصوفية تعصبا هي الطريقة الرحمانية وأشد عداءا لفرنسا وهي الطريقة التي تقف ورائها أغلب التمردات التي تحدث في المناطق متفرقة من الجزائر وهو ما عبر عنه بما يلي :"... من المؤكد أيضا أن أخوان بن عبد الرحمان قدموا مساعدات من المال والرجال وساهموا في حروب عبد القادر الأخيرة ..." هذا النوع من الدراسات أبان عن حقيقة الزوايا التي لم يكن يقتصر على الجانب التعليمي فقط بل تجاوزه إلى التأطير الاجتماعي والسياسي[1].

ومن الدراسات في هذا المجال نجد أيضا دراسات "ريموت شارل" صاحب الروح الإسلامية، إن هذا الكتاب عبارة عن مختارات مما كتب ضد الاسلام والمسلمين عبر العصور إلا أنه قدم قالب تأليف منسق ذي طابع شيق وخلاب وبأسلوب جميل يدعى العلمانية، حيث أن التهم الموجهة إلى الإسلام كدين هيأ ذهنيات المسلمين للإساءة لمواردهم الطبيعية[2] .

كما تناول ريموت وضع الأسرة في المجتمعات المسلمة حيث قارن بين الأسرة في المجتمع المسلم والمجتمع الفرنسي، هذا الأخير الذي يعتبر النموذج الذي يجب الأقتداء به، حيث بين أن المرأة مجرد تابع للهيمنة الذكورية كما أن مهضومة الحق في الحصول على الميراث [3].

نالت الطرق المذهبية الصوفية في الجزائر نصيبا وافرا من البحث والدراسة لدى كتاب المدرسة الاستعمارية الفرنسية في المجلة الإفريقية، لفهم الظاهرة وما تقوم عليه من معتقدات تناول "لويس أرنو " الطريقة التيجانية وتكلم عن حياة سيدي "أحمد التيجاني "الذي ولد سنة 1737م، من عائلة شريفة التي يعود أصلها إلى "حسن بن علي ابن فاطمة ابنة الرسول

[1] حميد قريتلي، المرجع السابق، ص.ص222.223.

[2] المرجع نفسه، ص131.

[3] عزيزة خلفاوي، المرجع السابق، ص8.

صلى الله عليه وسلم "بين الكاتب رحلته[1]، كما تناول بيربروجر ضريح سيدي عبد القادر في مليانة من زاوية أثرية وتحصناته وبقايا آثاره[2] .

واصلت المجلة الإفريقية في أعدادها دراسة الطرق الصوفية كالدراسة التي قام بها "أرنود" دراسة التصوف بواسطة الشيخ الهادي بن رضوي الأبياري" وقال أن اعتناق الصوفية هو بالنسبة للمتصوفين استيعاب أخلاق الملاجىء أو الروحانيين، وتناسب طابعهم المميز واحتضان أسلوب حياتهم والتقوى والعيش لعبادة الله تعالى وممارسة الفرائض[3] .

شكل موضوع المرأة الجزائرية في الإسلام اهتمام الكثير من الباحثيين السوسيولوجيين الكولونياليين وكان مدخلا جوهريا لتغطية الحقائق والوقائع لتفتيت المجتمع الجزائري ووحدته الاجتماعية خدمة للإيديولوجيا الاستعمارية وتشويه صورة الإسلام[4]، وذلك من خلال التركيز على الوضعية التي قالت الأثنولوجيا بأنها مزرية ووضعية تقدم المرأة في الثقافة الجزائرية بأنها بعيدة عن دائرة النشاط الاجتماعي إذ ينحصر دورها في مستوى بيولوجي فقط .

إن تقديم هذه الصورة عن المرأة كان يراد منه جعل المرأة تابعة ذات مكانة سفلى لا تملك مصيرها بنفسها[5]، وأنها أول عامل تخلف المجتمع الجزائري حيث يقول "فليب لوكا ودون كلود" في هذا الصدد:" وقد كان أول مجال وجه إليه الاتهام هو العالم النسوي ومن خلاله النظام الاجتماعي برمته ... إن جل المؤلفات العامة إن قليلا أو كثيرا تحتوي على قسم يعالج هذه المسألة ... فقدم المرأة الباحثة عن الخلاص من منزلة الشيء الذي زجت فيها من الخارج وأطلق أحكاما ملؤها السخرية، والثاني سعت إلى وصف عالم النساء من خلال وجهات نظر هذه النساء أنفسهن"[6].

---

[1] ARNAUD, Histoire de l'ouali sidi Ahmed Et.Tedgani in R.A.N°8, 186, p468.

[2] Berbrugger, Ruines de marabout de sidi abd kader sou maliana, in R.A ,N°8, 1864, p454.

[3] Arnand(M), Etude Sur la soufisme par le cheikh Abd Hadi Ben Ridouane, in R.A, N°31, 1887, p350.

[4] عزيزة خلفاوي، المرجع السابق، ص8.

[5] وداد دريوش، المرجع السابق، ص230.

[6] عزيزة خلفاوي، المرجع السابق، ص9.

ترجم فاغنون كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني باللغة الفرنسية حاول من خلاله هدم الأسرة الجزائرية من خلال التهجم على المرأة فركز في كتاباته على أحكام الأسرة وأحوالها، وذكر سبب ترجمته لكتاب كونه احتوى على نصوص قانونية ومعاملات دينية ومبادئ أساسية في التشريع [1]، ويصنف الباحث "جمال معتوق" جملة من الدراسات الكولونيالية التي تناولت نفس الموضوع لتحقيق نفس الهدف على سبيل المثال :

-Haccoun, coupredon, Etude sur l'evolution des coutunes kabyles specialement en qui concerne, lxhereadationdes femme et partique du Habous, alger 1921.

-Goichon a-u, la vie féminine du Mzab, étude de.socilogie, préface de witiam Maçais, Gauthier, 1927.

-Gaudry(M), la femme chacluia.de L'Aurés etud de sociologie bérbére, Alger 1929.

إذن أغلبية هذه الدراسات التي تناولت موضوع المرأة أراد أصحابها إظهار الفروق الموجودة بين المرأة العربية والمرأة البربرية وبالتالي تندرج أعمالهم ضمن الثنائية العربي– البربري، تناولوا المرأة وذلك قصد إظهار أو تفسير الوضع المتدني الذي توجد عليه وربطه بالعادات والتقاليد وخاصة لصق التهم بالدين الإسلامي وجعله السبب في ما هو عليه، إذ كل هذه الدراسات تقول أن المرأة قاصرة بسبب الدين الإسلامي[2].

هكذا حاولوا المؤرخون الفرنسيون ومن اهتم بالدراسات الإسلامية على وجه الخصوص تعريف الدين الإسلامي وإفراغه من محتواه وجعله دين بشرية لا تكاليف ربانية اقتصر على إقامة الولائم وتقديس العادات على المجتمع ونشر الاختلاف بين مكوناته المذهبية وإشاعة الفوضى والشك وعدم اليقين في مبادئه[3].

المطلب الثاني : اللغة العربية

[1] أمحمد صدوقي، النشاطات التاريخية والأثرية ....، المرجع السابق، ص252.

[2] عزيزة خلفاوي، المرجع السابق، ص10.

[3] أمحمد صدوقي، النشاطات التاريخية.....، المرجع السابق، ص257.

عرفت فرنسا من خلال الدراسات الإستشراقية التي حصلت عليها أن اللغة العربية بمثابة الحصن المنيع الذي يحمي الجزائرية ويربطهم بدينهم وعقيدتهم، وهي سر قوتهم فكانت اللغة العربية أول ما هاجمته فرنسا وهذا لأن اللغة العربية تمتلك مكانة في المجتمع الجزائري دينيا واجتماعيا ونفسيا وحضاريا، كما لها دور في الحفاظ على الوحدة الوطنية بكل تراثها وموروثها الثقافي والاجتماعي كونها أداة تواصل مع تاريخ الجزائري العريق وجذورها الحضارية هذا كله لم يكن غائبا على خبراء المخابر اللغة العربية هي صمام الأمان في الجزائر يجب إتلافه وهي ما يعترض المشروع الفرنسي "فرنسة الجزائر" ثقافيا واجتماعيا للمجتمع الجزائري [1].

فظهرت الدعوة إلى دراسة اللهجات وضرورة تعليمها بهدف ضرب اللغة العربية حيث يعترف "رينيه باصيه" الذي كان مديرا لمدرسة الآداب أن هذا الاهتمام بدأ حوالي لسنة 1890م، ونتيجة ذلك أخذ كل مستشرق يدرس لهجته في المدن والأرياف وهي خطة وضعت لتطوير الدراسات وتوسيعها للوصول إلى غرض اجتماعي وسياسي، وهو حصر اللهجات ومعرفة الأصول الفرنسية بإجراءات باعتبار أن اللهجات البربرية في الجزائر كلغات وطنية على قدم المساواة مع اللغة العربية والميل على جمع مفرداتها وكتاباتها بالأحرف اللاتينية بالإضافة إلى إنشاء مدارس عربية[2]، كما قامت بالاستيلاء على البيانات المدرسة بدعوى استغلالها وفق حاجتها وكما أغلقت بعض المدارس بعد مقتل معلميها في المعارك كما سنت قوانين في حق الجزائريين تمعنهم من تنقل وهذا شكل عائق أمام الطلبة العلم [3].

---

[1] سهيلة دريوش، الاستشراق الفرنسي بالجزائر مابين (1830م.1930م) لقراءة في مقال ل "هنري ماسي، تر.د.محمد يحياتن(رحمه الله)، مجلد08، العدد1،2017، ص.ص175.174.

[2] قشاشني علي، التوجه المعادي للغة العربية في السياسة الفرنسية بالجزائر "1871-1954 "، مجلة آفاق علمية، المجلد12، العدد04، 2020 م، ص.ص 43.44.

[3] رشيد مياد، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ورد فعل الجزائريين اتجاهها 1830م-1954م، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد14، العدد1، 2022، ص 854.

واقتصرت على تعليم اللغة الفرنسية و اللهجات البربرية مخططتا على إضعاف اللغة العربية الفصحى في المجتمع، يقول في هذا الصدد "جنرال هوتبول :" من أحدث الوسائل البناءة للوصول إلى إقرار الأمن الكامل في الجزائر، هو نشر اللغة الفرنسية بين السكان والطابع الإدماجي في التعليم الخاص بالجزائريين ليس نقل التعليم الفرنسي إلى الجزائر فقط إنما هو عمل سياسي مدروس لأهداف فرنسا الاستعمارية " [1]، وهذا كله قصد تآكل اللغة العربية وذلك من خلال إقصائها بيداغوجيا والحط من شأنها ثقافيا فيبدأ المجتمع بالانسلاخ عن إطاره الحضاري، وتثمين العامية بجعلها لغة التدريس وبها تصاغ الكتب المدرسية الموجهة لمختلف مراحل التعليمية ولكي تقلل من النظرة المقدسة لها في الخيال المجتمع الجزائري، ولذلك حرصت الإدارة الفرنسية على نشر الكتب المدرسية بلغة فرنسية موحدة نطقا وكتابة وإشاعة ثقافة وحروف كتب اللهجات المحلية وتسميتها باللغات بدل اللهجات[2] .

فبعد أن اكتشفت السلطات الفرنسية مدى أهمية اللغات الشرقية بالنسبة إلى مشاريعها الاستعمارية مع أواخر القرن الثامن عشر لذلك قامت سنة 1945م بتأسيس مدرسة اللغات الشرقية وعلى رأسها اللغة العربية التي اكتشفت قيمتها مباشرة بعد حملتها على مصر سنة1798م، باعتبار أن اللغة العربية هي لغة الشرق الكبرى والأساسية وقد زاد اهتمامها بهذه اللغة مع زيادة أطماعها في الجزائر والعمل على سيطرة هذه الرقعة الجغرافية التي هي جزء من الشرق بمفهومه الحضاري العميق[3] .

كانت فرنسا بحاجة إلى مخاطبة الأهالي بلغتهم ولهذا وظفوا تراجمة يتقنون اللغة العربية وعلى رأسهم المستشرق الفرنسي "سلفاستردي ساسي" الذي قام بتعليم اللغة العربية فكانت اللغة العربية تعلم للفرنسيين واللغة الفرنسية للجزائريين بما تحمله من دين ودينا

[1] عبد القادر فضيل، محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي ومعاناتها بعد الاستقلال، مجلة اللغة العربية، المجلد07، العدد02، 2005م، ص 258 .

[2] قشاشني علي، المرجع السابق، ص44.

[3] سهيلة دريوش، المرجع السابق، ص168.

للجزائريين بما يضمن لهم مسخ العقول وتحويلها إلى عجينة طيعة يشكلونها كما يشاءون[1] بالإضافة إلى المستشرق "بيلا شارل" الذي اشتغل في التدريس مدرسة اللغات الشرقية حيث ركزت جهوده على العامية الجزائرية ولهجاتها، كما دافع عن تدريسها بالمدارس الفرنسية[2].

وكذلك اهتمت فرنسا بالمعاجم العربية فهي تمكنها أيضا من معرفة لغة العدو من أجل بسط نفوذها وسبر أغواره وكشف أسراره والمعجم العربي هو الذي حقق لهم ذلك بالدرجة الأولى وعملت في مقابل على ترجمتها وتؤلفيها بالدراجة الجزائرية في مقابل وجه للجزائريين ذلك من أجل القضاء على اللغة العربية الفصحى وتشجيع الدراسات المهتمة باللهجات ونشر الدراجة ومن أهم المستشرقين العسكريين الذين استعانة بهم فرنسا في ذلك " آرنو، باقا، توشون وغيرهم، الذين اهتموا بالدراسة اللغة العربية والذين أسهموا في بقاء الجزائر أسيرة فرنسا[3]، كما نشرت في هذا الشأن كتاب بعنوان الطريق المستقيمة لتعليم اللغة العامية لصاحبه ديسارمي الذي شمل على عدة دروس العامية المكتوبة بالحرف اللاتيني والحرف العربي ثانيا، وكذلك المستشرق ج.شربونو الذي ساهم في تدريس العامية بالمدرسة الفرنسية بقسنطينة وعمل على تنظيمها[4]، وكذلك في هذا الصدد قال أحد الفرنسيين إن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا وجعلهم أكثر ولاءا وأخلص في خدمتهم لمشاريعنا هو أن نقوم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة وأن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمرار وبذلك يتأثرون بعاداتنا الفكرية وبالتقاليد، والمقصود هو أن نفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف فيها عقولهم حسب ما تريد وهما يعني التعليم الموجه للجزائريين تعليم منحط لا يرقى لمستوى التعليم الذي يتلقاه وفق رغباتنا ويسير في الاتجاه الذي نرسمه له[5].

---

[1] سهيلة دريوش، المرجع السابق، ص171.

[2] قشاشني علي، المرجع السابق، ص44.

[3] سهيلة دريوش، المرجع السابق، ص173.

[4] قشاشني علي، المرجع السابق، ص45.

[5] عبد القادر فضيل، المرجع السابق، ص258.

وجه جورج هاردي خطابه إلى الموظفين الاستعماريين قائلا " إن تاريخ المجتمع المستعمر ليس مثل تاريخنا الذي ضم أرشيف مكتوب ومتسلسل بأحدث وتواريخ بل على عكس جزء كبير مجمله ذكريات تم احتفاظ بها من طرف أشخاص مسنون وشخصيات دينية استعملت قوة الذاكرة في نقل أخبار من مضى تناقلت عبر أجيال، لذا يمكن القول بأن التاريخ الحقيقي توقف عند شواطئ البحر المتوسط وأن ما عداه مختصر في موروث خام وعقيم..." .

بما أن المجتمعات تكتب تاريخها بلغتها لا بلغة الآخرين لذلك عمدت فرنسا إلى إثارة عقد الكتابة فقد كان الجزائري في نظر العلماء الانثروبولوجيا واللسانيات يميل إلى تعامل اللفظي انسجاما مع طبيعته الفوضوية التي ترفض اللجوء إلى المواثيق المكتوبة مما يتيح هامشا أكبر في الاحتيال والتنصل من التزاماته حسب نظرهم، وشكلت اللغة المكتوبة والقراءة أزمة حقيقة لدى المجتمع الجزائري في جميع عصوره[1]، وكذلك اللغة العربية في منطق الاستعماري لغة دينية لا قدرة لها على نقل الواقع الاجتماعي في مجال الحضاري الشامل ولا يمكنها أن تفي بحاجيات التعبير عن التفكير العصري، وأن مكانتها تكمن في المجال الديني وفضاء المسجد وعليه فرنسا أصدرت قرار يمنع أي معلم عربي من تعاطي مهنته إلا برخصة ضمن الشروط حددتها هي من بينها استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه، واقتصر التعليم على حفظ القرآن الكريم دون تفسير آياته .

كما اعتبر أنصار المدرسة الاستعمارية اللغة العربية أن اللغة العربية يشوبها القصور الحضاري والعجز العلمي فيها وصعوبة في النطق والكتابة لأن مستواها اللغوي عند فهم الناس لغة معقدة ذات قواعد كثيرة تحمل الشذوذ في مسائلها وقضاياها، وحرص المستشرقون قائلون بهذه الشبهات على أن تكون حججهم من المسلمات، فانتقلوا من مناقشة أسسها العلمية والبحث في قواعدها النحوية إلى طرح أساليب ووسائل أخرى للخروج بها من

[1] امحمد صدوقي، النشاطات التاريخية والأثرية الفرنسية ..، المرجع السابق، ص260.

تلك الأزمات التي اختلقوها عن طريق استبدال حروفها العربية بالحروف اللاتينية تصرف فيها المستشرقون بقواعد ابتدعوها من عندهم[1]، يعتبر"هاملتون جب" من أهم المستشرقين الذين نشروا هذه الشبهة حيث يقول:"فقد كان الأسلوب الأدبي القديم وهو من صنع قلة من الخاصة مقيد متكلفا يكتنفه الغموض بحيث غدا غير صالح للحاجات والتعابير الحديثة"، كما قال المستشرق "أنيس فريحة :"إن معظم المصطلحات التعابير الجديدة ومحددة المعنى ولم تكن القضايا العلمية التي عني بها الفكر العربي لأن الفكر العربي لأسباب وقع في التاريخ عند نقطة معينة فمن الطبيعي نجد العربية نفسها الآن عاجزة عن الالتحاق بالفنون والعلوم..."، هدفهم هو إثارة التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي لتظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي علينا[2] .

كما أقر المستشرقون أن اللغة العربية لديها في نطق والكتابة وقواعدها معقدة من بينهم المستشرق"فلهلم شبيتا" قائلا:"أن الخط العربي هو سبب في تخلف اللغة العربية طريقة الكتابة العميقة أي بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع أكبر قسط من اللوم في كل هذا..."، إن كل شبهات التي اختلقها المستشرقين كلها من أجل دعوة إلى العامية وكذلك التعقيد والحط من قيمة اللغة العربية الفصحى ونفس الوقت من أجل إهمالها وتهميشها ذلك خدمة لمصالحها وأغراضها الاستعمارية[3] .

المطلب الثالث: التشكيك في الأصول العرقية للجزائريين.

وقفت الدراسات التاريخية والأثرية الاستعمارية موقف المشكك عند التطرق إلى أصول سكان الجزائر، استدل فيها المؤرخون على انعدام ذكر (البربر) في النصوص الكلاسيكية، حيث ذكرت النصوص الكلاسيكية المتعلقة بالليبين التي ترجع لعهد تاريخي كان الأهالي فيه

[1] امحمد صدوقي، النشاطات التاريخية والأثرية الفرنسية ...، المرجع السابق، 261.

[2] محمد عيساوي، التأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية الفصحى –بين الإنصاف والإجحاف – ، مجلة تاريخ العلوم، المجلد04، العدد07 ، مارس2017م، ص306.

[3] محمد عيساوي، المرجع السابق، ص.ص308.309.

اتصال مع غيرهم من شعوب البحر الأبيض المتوسط وإن قسما منهم كان يخضع لسادة الأجانب [1]، حيث حاول المؤرخ استيفان غزال من خلال العديد من الفرضيات الوصول لأدلة الغرض منها إعطاء ومضات تاريخية كبلاد شمال إفريقيا المفتوحة على الشعوب المجاورة لتعزيز فرضية وجود خليط غير متجانس للسكان اذ قال "كانت الصحراء آنذاك أصلح لسكن منها اليوم كما كان عبورها أسهل ... ومن ناحية أخرى فإن نموذج الجريد واضح الخصائص فهل هو نتاج توالد حدث بين السود والبيض لا ندري وعلى كل حال هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأنه ترسخ من عهد بعيد وربما أن الأشخاص الذين من هذا الصنف لهم قرابة ما بالشعوب ذات القامة الطويلة واللون الأسمر المشرب بالحمرة..."[2].

أكد "بيربي" في دراسته التي أعدها أن السكان شمال إفريقيا في الأصل هاجروا من شمال دول اوروبا وهم أجانب على هذه الأرض واستدل بمواصفات البيولوجية ذوي الشعور الشقراء والحمراء والعيون الزرقاء حيث قال:"M.Faidherbe "جاؤا بالتأكيد عبر اسبانيا وربما عبر إيطاليا واليونان" [3].

من دوافع الأستوغرافيا بالجزائر هو زرع الشكوك حول الموطن الأصلي لسكان الجزائر القدامى، حيث شككوا في المناطق التي قدموا منها، استند"لويس سيريت " على شواهد أثرية وجدت بتبسة ووهران من العصر الحجري وهي نفس الصناعة من العصر الحجري القديم المتواجدة في جنوب شرق إسبانيا وهي عبارة عن أدوات ميكروليتية[4]، وقال الباحثون

[1] استيفان غزال، تاريخ شمال إفريقيا القديم، تر: محمد النازي سعود-ج1-، أكاديمية المملكة المغربية، د.ط، الرباط، 2007م، ص230

[2] المرجع نفسه، ص246

[3] Pereier (gean.ardré .napoléon), Des Rages Dites Berbéres et De leur ethno Génie, Membre de la société et d'Anthropolgie, Typogrtphie A-hennuyer, paris, 1873, p9.

[4] PALLAR YPaul, In struction pour les reeherches prechistoriques dans la nord Ouest de l'Afrique , Typooraphie Adophe gourdan , Alger, 1909, p.p45.46.

الفرنسيون بأن شمال إفريقيا استقبل من العصور القديمة سكانا من الشرق وهذا من شأنه بأن يقر القرابة التي لا يمكن إنكارها بين اللغة البربرية القديمة واللهجات السامية [1] .

ذكر استيفان أن بلاد البربر جزء من الأبيض المتوسط الغربي أكثر مما هي جزء من إفريقيا، فقد كانت لها علاقات الأكثر عددا مع إيطاليا وإسبانيا وتواصل حضاري لفترات طويلة [2].

ضمن قضايا هادفة تتعلق بأصول السكان والبحث عن جذوره الأولى وفي سياق تجاهل المؤرخين الاستعمارين للتكوين التاريخي للجزائر، انطرحت خارج شمال الأفريقي وأنقاد المتخصصون في فترة ما قبل التاريخ أمثال "كامبس" انساق وراء الفرضية القائلة كون سكان المغرب العربي انحدروا إليه عن طريق إسبانيا وصقلية وراح يدافع عنها معتمدا على التشابه الموجود في بعض المظاهر الجزائرية بين السكان الشمال الأفريقي وجزر المتوسط الغربي وخاصة فيما يتعلق بأسلوب الدفن وأفكار القبور مثل مقابر التلال والمصاطب[3]، بالإضافة إلى استناد المؤرخ الفرنسي "كامبس غابريال " على أسطورة سالوست عن أصل سكان شمال والتي تقول أن سكان إفريقيا الأوائل هم من الجيتول وفي فترات لاحقة عبر الميد والأرمن والفرس وكانوا في إسبانيا تحت قيادة هرقل إلى إفريقيا واختلطوا بالسكان الأصليين[4]،

اشتغل المؤرخون الاستعماريون وعلماء الأنثروبولوجيا واللسانيات على إعداد مقاربات لغوية للإشارة إلى تواصل حضاري (أورو– امازيغي) وهو ما تم القياس عليه اعتماد على تشابه بين اللغة المحلية وبين بعض الكلمات الأجنبية الأوروسية على وجه التحديد، واتفقت

[1] WAHLM Maurice, l'Algérie, Félixalcon éditeur, paris , 1903, p58.

[2] استيفان غزال، المرجع السابق، ص48.

[3] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، د.ط، الجزائر، 2003م، ص.15

[4] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، د.ط الجزائر، د.ت، ص25.

دراساتهم إلى افتراض انحدار سكان الجزائر القدامى من شعوب اسكندفانيا شمال أوروبا الذين قدموا إليها في رحلة نحو الجنوب وصولا إلى شمال إفريقيا [1] .

المبحث الثاني :أبعاد المشروع الأنثروبولوجي .

المطلب الأول: التنصير

يعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر حلقة من سلسلة حلقات الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا المسيحية على العالم الإسلامي لذلك كان الجانب الديني أثر كبير في احتلال الجزائر وحجة التي دفعت فرنسا إلى احتلال الجزائر دعواها في إنقاذ المسيحيين من القراصنة في الجزائر، كما اعتبرت أن حماية الكنيسة الكاثوليكية مسؤوليتها، وقد لعب رجال الدين المسحيين دور في حملة الفرنسية التي قادها "ديبورمون" على الجزائر سنة 1830م معه حوالي 16قسيس حتى يكتمل غزوهم العسكري إلى جانب الغزو الديني الفكري وهو الأهم في نظرهم[2]، كما أكد الملك" شارل العاشر"في تصريح له :"إن العمل الذي سأقوم به ترضية للشرف الفرنسي سيكون بعون القدير لفاصدة المسيحية كلها ..."، أما "بولينياك" رئيس حكومته فإنه يبرر نوايا احتلال بلده اتجاه الجزائر أنه يدخل ضمن الدفاع عن شرف المسيحية دون خبايا استعمارية، فبعد سقوط الجزائر في يد"دي بورمون" مخاطب شعب الجزائري :"إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا ولنأمل أن تنشأ قريبا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع..."[3] .

تظهر سياسة التنصير التي اعتمدتها فرنسا ضد الجزائريين منذ أن وطأت أقدامها لأول مرة فقد قامت بالاعتداء على مؤسسات الدينية الإسلامية، من المساجد التي سعت في تخريبها فقد دمرت بعضها والبعض الآخر حولت إلى ثكنات عسكرية وإسطبلات ومراقد

[1] أمحمد صدوقي، النشاطات التاريخية.....، المرجع السابق، ص20.

[2] طويل حياة، التنصير في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي (1830م-1962م)، مجلة قرطاس، المجلد04، العدد01، جوان2017م، ص313.

[3] عبد القادر خليفي، سياسة التنصير في الجزائر، مجلة المصادرالعدد9، المجلد6، العدد1، 2004 م، ص4.

للجنود وكنائس للدين المسيحي، قال الشيخ الإبراهيمي :" فقد حولت بعض المساجد الكبرى إلى كنائس وعمرتها برجال الكنيسة المسيحية وناهيك عن مسجد كتشاوة العظيم الذي صيرته إلى كنيسة وكأنها فعلت ذلك لتجعله عنوانا لما تبثه للإسلام من شر..." .

كما أعلن سكرتير جنرال "بيجو" الحاكم العام قائلا:"إن أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله آخر غير المسيح..."، وسارعت فرنسا إلى استيلاء على عوامل الأوقاف الإسلامية نظرا لأهميتها لكن فرنسا لم تكتفي بهذه الأعمال بل تحكمت في جميع قضايا الدين الإسلامي وتعمل على التضييق على المسلمين فقد تحكمت في شؤون الإسلام كالصلاة والصوم والحج، فبعد صدور قرار الذي ينص عن فصل الدين عن الدولة سنة 1907م إلا أن فرنسا لم تسمح بتطبيقه على شؤون الدين الإسلامي ولكن بقيت شؤونه في يد الحاكم الفرنسي، والتي هي لغة القرآن الكريم وغيرها من الأعمال الغير المرضية في حق الشعب الجزائري [1] .

كما أن النشاط التبشيري فقد تكفلت به أسقفية في الجزائر وهم أساقفة متشردين متعصبين يكنون العداء والحقد للإسلام والمسلمين ومنذ عام1852م كانت الأسقفية الجزائر تحت مسؤولية الأسقف بافي الذي كان شديد الحقد في تعامله مع الإسلام الذي قال:" القرآن يا له من حماقة والحقيقة أن محمدا ما هو منتحل للمسيح ..."، وقد خلفه في أواخر سنة 1866م الكاردينال "لافيجري "وفي سنوات الأولى من توليه شؤون الأسقفية آثار الخوف والشك لدى السلطة الفرنسية من جهوده الأولى للاتصال بالإسلام، لكن سرعان ما أصبح له الأثر البالغ في تاريخ الديني الفرنسي فقد كان مصمم على الإسلام وتنصير الجزائريين بكل السبل، وقد وضح "لافيجري " خطته في الرسالة التي وجهها إلى معاونيه مؤكد في قوله :"أن أمام الجزائريين إما التنصير أو الطرد وأن خلاص العرب يكون عن طريق اعتناقهم للمسيحية التي أصبحت أمرا محتما لامناص منه..." وعزم على استبدال القرآن الكريم

[1] طويل حياة، المرجع السابق، ص.ص315.316

بالإنجيل لإعادة الحياة للشعب العربي على حد فكره فقد استهدفت مواقف التبشيرية للكاردينال "لافيجري" خدمة مصالح فرنسا في الجزائر وأسس مدارس تبشير ودعا إلى إعادة المغرب العربي إلى أصله الروماني المسيحي وأيضا أسس سنة1869م فرق الآباء البيض بالتطوع في القبة بالجزائر وهاته الفرق توزعت في كل المراكز والفئات فكان منهم العلماء والمدرسون والفلاحون والمبشرون، كما انشأ في نفس السنة فرقة الأخوات البيض التي كانت مهمتها التربية والتبشير في الوسط النسوي .

استغل الكاردينال"لافيجري"الظرفية الكارثية التي عاشها الجزائريون في فترة مابين(1867م.1968م) واتخذها فرصة ليوسع نشاطه التنصيري في الجزائر استغل وضع المرضى والجياع والمشردين وأنقذهم من الضياع تحت اسم فرنسا والصليب، فجمع العديد من الأطفال المشردة والمرضى ووزعهم على عدة مراكز لإعادة تنشئتهم وتربيتهم تربية مسيحية فقد تم تلقينهم مبادئ وأساسيات العقيدة وتكوينهم في مختلف أنواع المهن زراعية والفلاحية منها وذلك من أجل وضعهم تحت خدمة مصالح المعمرين منها الاقتصادية الفرنسية، فمن خلال النشاطات التنصيرية الفرنسية كانت فرنسا تهدف إلى مسح أثر الإسلام وتهديم الشخصية الإسلامية الجزائرية، وبناء وتنشيئة جيل مسيحي يتخلى عن هوية وانتمائه العربي الإسلامي وتدعيم الوجود الفرنسي وزرعه في الجزائر [1] .

المطلب الثاني : إثارة النزعة البربرية

في سبيل تفتيت المجتمع الجزائري والقضاء على المعنوية وبث الفرقة والبلبلة بين صفوفه على الاستلام والخشوع حاول المستعمر تشويه كل ما يمت بصلة لهذا المجتمع بداية من عناصره البشرية، كالحرب والبربر فهذان العنصران تعرضا بدورهما لعمليات بحثية

[1]حمودي ابرير، الهوية الوطنية الجزائرية في سياسة الاستعمارية الفرنسية في عهد نابليون الثالث (1852م.1870م)، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد06، العدد01، الجزائر، 2021م، ص.ص65.66

محكمة في مخابر الدراسات الفرنسية، فنقسم المجتمع الجزائري إلى بدو وحضر، وقبائل مرابطين وغير مرابطين، قبائل وشاوية وطوارق وميزابين [1].

تعود بدايات الأزمة البربرية من الناحية الزمنية إلى فترة الاحتلال الفرنسي وتعود من الناحية الفعلية إلى توظيف المحتل المشكلة التمييز بين الإمازيغ والعرب (الأزمة البربرية) التي خلقها هو في مشروع تحطيم الكيان الجزائري، حيث بدأ هذا الأمر مع بعض العسكريين أمثال الجنرال "دو فيفي" سنة 1841م، والعقيد "دوماس" في 1844م وبعض الدراسات الأنثربولوجية سجلها النقيب "فابال" سنة 1847م، تضمنت وصفا للعرق القبائلي وأنه يعود لأصل جرماني .

شكل هؤلاء الضباط نخبة من الباحثين في الجانب العلمي ضمن المكاتب العربية، وأعطيت لهم توجيهات الاهتمام بكل القضايا التاريخية الأنثروبولوجية، استعمل هؤلاء علم التاريخ والأنثربولوجيا استعمالا وظيفيا وايديولوجيا ووظفوهم لتأجيج الصراع بين البربر والعرب وبين القبائل عن طريق زرع العرقية[2]، كما قاموا بتفسير النصوص التاريخية وانتقاء الروايات والشواهد والوقائع التي توافق هواهم وتأيد مزاعمهم، منتحلين مختلف الإحالات والمؤيدات الوهمية التي يستلونها من اقتراحاتهم وتليفاقتهم[3]، بهدف إثارة العنصريات بين العرب والبربر فاختاروا حادثة الكاهنة وحسان وكسيلة وعقبة بن نافع وأصبح هذا الاختيار قاعدة في كتابات التاريخية الفرنسية [4] .

---

[1] همال عبد السلام، المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية بالجزائر (1830م.1962م)"الأسطورة القبائلية البربرية نموذجا" مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد08، ص25

[2] بومزو عزدين، الأزمة البربرية لسنة 1949م، في تقرير سري للبوليس الفرنسي، مجلة دراسات، المجلد13، العدد02 ،2022م، ص154.

[3] محمد البشير المغلي، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2002م، ص260.

[4] بومزو عزدين، المرجع السابق، ص154.

وقد ندرك المغزى الحقيقي لهذه الدراسات التاريخية للأساطير والروايات إذ وضعناها في إطارها التاريخي والظروف التي ظهرت فيها وكذلك نوعية الأشخاص الذين أنجزوها، والظاهر أن الأسطورة القبائلية البربرية تحتل الصادرة والريادة وبها بدأت سلسلة هذه الأساطير الاستعمارية فقد ظهرت في وقت مبكر بعد سبع سنوات من سقوط العاصمة تحت الاحتلال، يذكر الباحث الفرنسي "أجيرون" أن الأسطورة القبائلية مرت بعدة محطات وأن سنة 1857م كانت آخر محطة لها، وهذا يثبت تورط الإدارة الاستعمارية في تحريك المسألة وتوظيفها سياسيا تبعا لمخططاتها الاستعمارية وفق تطور الأحداث على أرض الواقع[1] واستعملت هذه الكتابات لاحقا لتثبيت الاحتلال تحت ما عرف بالأسطورة البربرية لمحاربة مشروع "نابليون الثالث" المملكة العربية، وكان من أشد أنصارها "وارنييه" الذي حاول التفرقة بين العرب والقبائل بالاعتماد على التاريخ، إذ رأى أن البربر ينحدرون من الرومان المسيحيين القدماء وأن مستقبل الجزائر لا يكون بالتعايش بين العرب والقبائل وبين الإسلام والمسيحية بل للتحالف الفرنسي القبائلي[2] .

ويعترف المؤرخ الفرنسي"أجرون " أن سنة1847م كانت محطة هامة في حياة الأسطورة، ففي سنة المذكورة وصدر كتاب القبائل الكبرى للضابطين "فيار ودوما "، وأهمية كتاب القبائل الكبرى تكمن فيما تضمنه من آراء ومواقف وأيضا في الآثار التي تركها خلفه تضمن الكتاب في الفصل الثاني عن حالة المجتمع الجزائري القبائلي، وفيه عالج الباحثان العسكريان العادات والتقاليد هذا المجتمع، والظاهر أن نظرية التنافر أن صح التعبير والاختلاف والتناقض بين العرب والقبائل في كل شيء مهما كان صغيرا أو كبيرا هي التي حرص الباحثان أشد الحرص على التركيز عليها، والفصل في معظمه عبارة عن مقارنة بين عادات وتقاليد ومؤسسات منطقة القبائل مع عادات وتقاليد ومؤسسات منطقة القبائل ترد في

[1] همال عبد السلام، المرجع السابق، ص26.

[2] بومزو عزدين، المرجع السابق، ص155.

الكتاب بأسمائها وإنما نسبت إلى العرب لا رابطة دينية أو لغوية ولا عادات ولا تقاليد مشتركة ولا حتى مصالح مشتركة بل حتى الملامح والدينية مختلفة تماما[1].

فانتشرت العديد من الأفكار منها أن العرب كسالى، خاملون، بطيئون، متحجرون ومتعصبون أما البربري فأنه عامل جدي يملك روح المبادرة والحس العملي وهو حيوي مرح واقتصادي نزيه، محب للإطلاع قليل التدين، إن هذه العبارات القاسية في حق العرب توافق الكتابات الاستعمارية في النصف الثاني من القرن التاسع .

حيث اعتبرت الجزائر الأرض الموعودة للدراسات الأنثروغرافية والأنثروبولوجية وما تضمنته من وصف و دراسة للعرب يعتبر نقيضا ما كتب عن البربر فأعطت أفضلية للعرق البربري و أنه لا يجب أن تعامل كالعربي[2]، قال الباحث "دوما" في كتابه القبائل الكبرى "لقد اكتشفنا شعبين لا شعبا واحدا للعداوة هي القاسم المشترك بينهما، إن العرب والقبائل لا ينفقون إلا في محور واحد هو الكراهية فالقبائلي يكره العربي و العربي يكره القبائلي، فهذا المقت المتأجج لا يمكن تفسيره، إلا بشعور تقليدي توارثته الأجيال، كره بين عرق الغزاة (أي للعرب) والعرق المقهور (أي القبائل) ذلك ما يؤكده الواقع المعاش بوجود لغتين مختلفتين" [3]إذن فالنزعة البربرية ظاهرة أنشأها الاستعمار الفرنسي ليتخذها طريقا لتحقيق شعاره "فرق تسد" من خلال إشعال نيران التفرقة وتعميق التنافر بين مجموعتين من الجزائريين الأولى عربية والثانية قبائلية [4].

المطلب الثالث :محاولة نفي الدور الحضاري للمنطقة.

[1] همال عبد السلام، المرجع السابق، ص.ص26.27.

[2] بومزو عزدين، المرجع السابق، ص155.

[3] همال عبد السلام، المرجع السابق، ص28

[4] بومزو عز الدين، المرجع السابق، ص155

كان المؤرخون الاستعماريون يخضعون تاريخ الشمال الأفريقي عبر مختلف عصوره وحقبة الأحكام جاهزة كانت تردد باستمرار في أبحاثهم ومع الوقت أصبحت بعض الأعمال أقرب إلى الدعاية الفجة منها إلى البحث التاريخي القائم على البعد العلمي المؤسس على النية النزيهة والهدف وراء ذلك بدون شك هو إعطاء مصداقية للاستعمار وبتبرير وجوده في الديار المغاربية عامة والجزائرية خاصة مركزين على الانتماء الحضاري للمنطقة من دين ولغة وتاريخ وعادات وتقاليد، فتعرضت للتشويه ومسخ قد لا نجد له نظيرا حتى عند أشد الأنظمة العنصرية تطرفا في القرن 20م، لأن الفرنسيين أدركوا من الوهلة الأولى أن الخطر الذي يهدد كيانهم ينبع دائما من عناصر الهوية الجزائرية هذه، حتى الجغرافيا مسها التشويه فقسمت وجزئت[1].

يعد العلماء الفرنسيون شعوب المستعمرات عموما مجموعات بشرية افتقدت إلى روابط اجتماعية عضوية استقرت على هامش الحضارة أو بتعبير آخر أقوام بدائية مثلت حقلا معرفيا خاما يمكن دراسته وفق منظور علمي استند على تخصصات برع فيها الفرنسيون[2].

وأسس الفرنسيون لمشروع استعماري ثقافي متكامل غايته صناعة هوية جديدة جاءت من إنتاج فكري تنوع في الإبداع والبحث بين دراسات نقدية للتراث الجزائري ومشاريع توزعت بين بحوث فنية وتاريخية لمناطق اعتبرت في نظر الاستعمار ممر للاحتلال الجزائر كالدراسات والبعثات التي قام بها "شارل لافيجري وشارل دو فوكو وغيرهم في عدة مناطق من الجزائر أرخ وكتب فيها المستشرقون والرحالة والأنثروبولوجيين رحلات ومونوغرافيا وصفية للمدن والعادات والتقاليد"مثل لومباز وجميلة وقالمة" كان الهدف منها إعادة بعث الحضارة الرومانية القديمة[3]، ومن بين الدراسات التي ظهرت في القرن 20م الكتابات

[1] همال عبد السلام، المرجع السابق، ص.ص25.26

[2] امحمد صدوقي، النشاطات التاريخية ...، المرجع السابق، ص293

[3] المرجع نفسه، ص298.

الفرنسية التي تميزت بمقاربات جديدة للتاريخ وسوسيولوجية الجزائر على غرار كتابات "أندري شارل جوليان وبييربورديو وأندري نوشي[1].

وقد سخرت السلطات الفرنسية كل الإمكانيات السياسية والثقافية لتسليط الصورة على التاريخ الروماني الاتيني في الجزائر، وربطه ثقافيا بفرنسا وخاصة أنهم الباحثون كانوا يقتفون آثار أسلافهم الرومان، حيث قالوا أن وجودهم كان منذ القدم بالعودة تاريخية إلى الماضي الروماني بحكم أسبقية على الفتح العربي الإسلامي[2].

وتجدر الإشارة أن التاريخ القديم للجزائر وشمال إفريقيا كان محل اهتمام العديد من المؤرخين والأساتذة الجامعين أمثال "استيفان غزال وغوتي، جورج وليام مارسي، أيفير، جوليان وغيرهم وقد ساهم هذا الصنف في الكتابة التاريخية والاستنتاج العلمي لهذه الفترة التاريخية إلا هذه المساهمات كانت تهدف إلى تكريس النظرة الفرنسية التي ترى ماضي الجزائر مرتبط بالعهد الروماني والحكم الفرنسي فقط، واقتصارها على استعمال المصادر الغربية والوثائق الأوروبية والتقارير الفرنسية مهملة في أغلب الأحيان المصادر المحلية العربية منها والعثمانية التي تعطي صورة أمنية وصادقة من أوضاع الجزائر مثل المخطوطات العربية والأرشيفات العثمانية[3].

لقد عملت فرنسا في إلحاق الجزائر لها العديد من السياسات الثقافية الخطيرة من خلال تجنيد جنرالات وعملاء متيقنين لدورهم وذلك من خلال لجوئها المستمر إلى محاربة الإسلام وعرضه في صورة منحطة في ذهن الأطفال وبمنعهم من الالتحاق بالمدارس

[1] بكاري عبد القادر، ملامح وقدرات المؤرخين الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، العدد02، أفريل2022 م، ص49

[2] كميل ريسلير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1962-1830)، ترجمة نذير طيار، دار كتابات الجديدة لنشر الإلكتروني، د.ب، 2016م، ص.ص.58.59.60.

[3] ناصرالدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في عهد العثماني، دار البصائر، ط2، الجزائر، 2009م، ص.ص17.18 .

القرآنية، وهذا جزء من خطتها بإحلال المسيحية والمسحيين مكان الإسلام والمسلمين في الجزائر، كما أوجدت صيغة أخرى لإحكام القبضة على الجزائريين عبر الترويج لفكرة انتماء سكان القبائل للعرق الروماني وعلاقتهم بالرومان والحضارة الغربية ذلك لإحلال الفرقة والصراع بينهم، وتهديم البنى الحضارية لمجتمع الجزائري وإذابته في الكيان الأوروبي المسيحي، واستمرار المستشرقين والمؤرخين تابعين لها محاربة اللغة العربية وذلك سعيا لفرنسة اللسان العربي الجزائري .

خـاتـمـة

وفي الأخير نستنتج:

1. تتخطى الأنثروبولوجيا حدود التخصيص وتطرح نفسها كعلم يقوم على الشمول من ناحية دراسة كل ما يتعلق بالإنسان متداخلة بذلك مع العديد التخصصات العلمية الأخرى من طبيعية واجتماعية وإنسانية.
2. ارتبطت نشأة علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بالحركات الاستكشافية والاستعمارية وأصبحت دراسة المجتمعات البدائية موضوعها الأساسي، ثم أصبح بعد ذلك سلاح ضمني يسهل عمليات اختراق الجغرافي والثقافي بتدخل المعتقدات والهوية.
3. استبقت المخططات الاستعمارية المعارف التاريخية للجزائر واستعانت بالعسكريين الفرنسيين والضباط المدنيين الذين شكلوا النواة الأولى للبحث الأنثروبولوجي نتيجة تفطنهم لأهمية نوع من الدراسات الأنثروبولوجية واستغلالهم لها حتى يتسنى لهم السيطرة والاستمرارية.
4. استطاعت الدراسات الأنثروبولوجية أن تصنع فارغا استراتيجيا يسارع في تعريف الفرد الجزائري عن كثب من الشمال إلى أقصى الجنوب على أثر تمكين وتطبيق مشروعها الاحتلالي من خلال تكليف العديد من الباحثين والرحالة للبحث مثل التغلغل في الصحراء الجزائرية .
5. كشف لنا دراسات الميدانية لمنطقة القبائل والأوراس عن تفاصيل الحياة اليومية من عادات وتقاليد واهتمامات بالمرأة الجزائرية وصناعات اليدوية مثل دراسات الباحثة "جرمان تيون" وأعمال ضابط "شارل فيرو".
6. باعتبار أن الجانب الديني يمثل القلب النابض للمقاومة والمحرك أساسي ضد الاستعمار فقد عملت الأنثروبولوجيا على خلق فرضية قائلة بأن الدين الإسلامي لا يمكنه مواكبة العلم والتطور من خلال الاعتماد على رجال الدين والشيوخ وخلق شكل

جديد من التدين مبنى على الأباطيل والخرافات ومنه الشروع في التنصير ونشر المسيحية.

7. لعبت الدراسات الأنثروبولوجية في وصول إلى التركيبة الاجتماعية والولوج إلى أعماقه بعد أن نخرته الصراعات القبلية والعشائرية التي كانت الإدارة الفرنسية تغذيها باستمرار (النزعة البربرية).

وختاما لهذه الدراسة يمكن القول أن هذه المؤلفات صحيحا كانت من نتاج استعماري ولكنها أضحت إرث انثربولوجي ومكسب تاريخ الجزائر المعاصر لما تكتسبه من أهمية تاريخية وسياسية تعطينا نظرة شاملة عن المجتمع الجزائري وأحواله إبان الاحتلال، تعكس لنا كيف استغل فرنسا الاستعمارية وسائلها العلمية والعسكرية ومفكريها سواء كانوا باحثين أو جنرالات عسكرية لطمس الهوية الجزائرية، نتيجة تصفحنا لهذه الدراسات أدركنا حقيقة أنه هناك العديد من مؤلفات في هذا المجال تتضمن كمية من المعلومات المحرفة عن المجتمع الجزائري خدمة لأغراض سياسية مقصودة.

قائمـــــة

الملاحق

الملحق رقم 1: صورة توضح منازل السكان.

المصدر: Fanny Colonna, Aurés / Algérie 1935-1936.,Photographies de Thérése Riviére, Office Des Publications Univeritires, Paris, p1.

الملحق رقم 2: صورة توضح اللباس عند الرجال.

المصدر: Fanny Colonna, op.cit, p33.

الملحق رقم 3: صورة توضح لباس النساء.

المصدر: Fanny Colonna, op.cit, p34.

الملحق رقم : تقنيات الزراعة.

المصدر: Fanny Colonna, op.cit, p38.

الملحق رقم 5: صورة توضح طريقة الأكل عند سكان الأوراس.

المصدر: Fanny colonna, op.cit, p54.

الملحق رقم6: غزل الصوف في الأوراس.

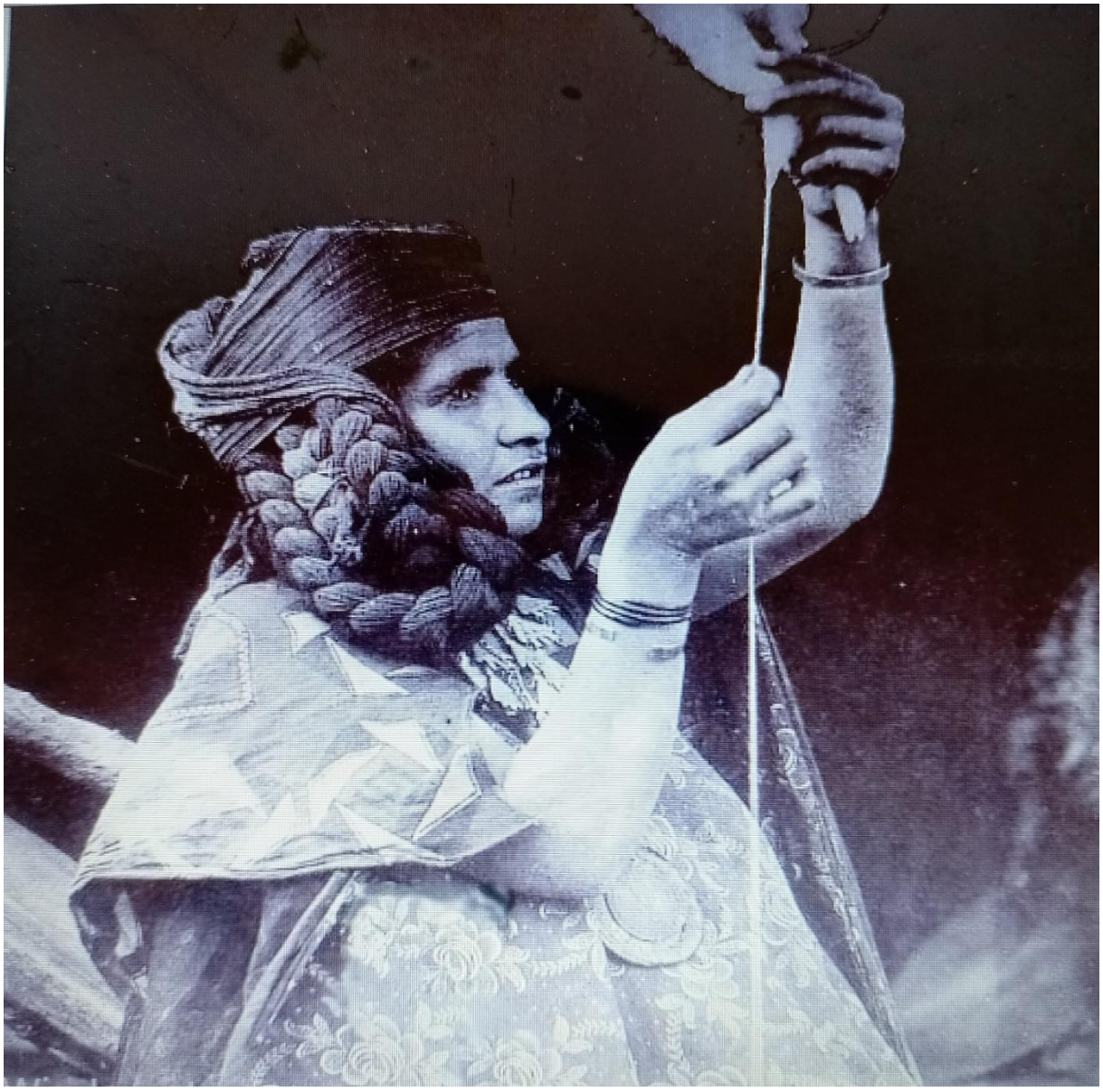

المصدر: غرينة عبد النور، المرجع السابق، ص190.

الملحق رقم7: صناعة الحلفاء بالمناطق الجنوبية من الأوراس.

المرجع: غرينة عبد النور، المرجع السابق، ص191.

الملحق رقم 8: صورة توضح طحونة القمح.

المصدر: Fanny colonna, op.cit, p55.

الملحق رقم9: صورة لمطحنة تقليدية.

المصدر: Fanny colonna, op.cit, p446.

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر بالعربية:

1. تيون جرمان، الحريم وأبناء العم(تاريخ النساء في المجتمعات المتوسطية)، ترجمة عز الدين الخطابي وإدريس كثير، دار الساقي، بيروت، 2000م .

2. سعدالله أبو قاسم، الحركة الوطنية الجزائرية(1830م-1900م)، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1992م .

3. سعدالله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي(1830م-1954م)، ج5، دار الغرب الإسلامي ط1، بيروت، 1998م .

4. شالر وليام، قنصل أمريكا في الجزائر(1816م-1824م)، ترجمة إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1982م.

5. غزال استيفان، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد النازي سعود،ج1، أكاديمية المملكة المغربية، د.ط، الرباط، 2007م.

6. كامبس غابريال، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، د.ط، الجزائر، د.ت .

7. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، ترجمة ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، د.ط، تونس، د.ت .

المصادر باللغة الأجنبية:

1- Carette, études sur la kabilie. Exploration scientifique de l'Algérie Imprimerie de cosse et J.dumain , paris, 1849.

2- Eugéne Fromentin, Un été dans le sahara, Alphonse Lemerre, Editeur, **paris**

3-Henri Duverier, le touareg du nord, CHallahkl Aixé, paris, 1864.

4- J.Zaccone, batna a tuggurtet au sou , Librairie Militair , paris, 1865.

5- Le capiteain deneveu, les KHOUAN.ORDRES.religieux chezles musulmans De l'Algérie, Imprimerie De A –Guyot, Iupriueur du roi, paris,1846 .

6- Le Général daumas, Mœurs et coutumes de l'algérie , libairie.de L.Hchette, paris, 1853 .

7- M.Carette et Warnie, Description et division de l'algérie, librairie de l.hachette et cio, paris , 1847.

8- Ministere de la guerre, Tableau de la situation des établissements français dans la l'Algérie en 1838, imprimerie ROYALE, PARIS, JUIN 1839 .

9- PALLAR YPaul, In struction pour les reeherches prechistoriques dans la nord Ouest de l'Afrique, Typooraphie Adophe gourdan, Alger, 1909.

10- WAHLM Mauric, l'Algérie, Félixalcon éditeur, paris, 1903.

المراجع بالعربية:

1. أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان(1830-1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 1975م.

2. بارث فريديريك، باركن روبرت، الأنثروبولوجيا حقل علمي واحد وأربع مدارس، ترجمة أبوبكر قادر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، د.ط، د.ب، 2007 م.

3. بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر(1830.1989)، الجزءالأول، دارالمعرفة، الجزائر،2006 م.

4. بوعلي حفناوي، صورة الجزائر في عيون الرحالة وكتابة الغربية، دروب النشر والتوزيع، د.ط، د.ب، 2016م.

5. بومعزة عبد القادر، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين ،ج1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، الجزائر، 2016م .

6. تيلوين مصطفى، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، دار الفرابي، ط1، لبنان، 2011م.

7. الجوهري محمد، علياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، د.د.ن، القاهرة، 2007م.

8. الخطيب محمد، النظرية الأنثروبولوجية، دار رسلان، د.ط، د.ب، 2021م.

9. ريسلير كميل، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1962-1830) ترجمة نذير طيار، دار كتابات الجديدة لنشر الإلكتروني، د.ب، 2016 م .

10. سباعي مصطفى، الإستشراق والمستشرقين(مالهم وما عليهم)، دار الورق للنشر والتوزيع، د.ط، عمان، 1999م.

11. سبنسر وليام الجزائر في عهد"الرياس" البحر، ترجمة عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر، د.ط، الجزائر، 2006 م.

12. سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في عهد العثماني، دار البصائر، ط2، الجزائر، 2009م .

13. شماس عيسى، مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا، منشورات إتحاد الكتاب العربي، د.ط، دمشق، 2004 م.

14. شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، د.ط، الجزائر، 2003م .

15. فهيم حسين، قصة الأنثروبولوجيا (فصول في تاريخ علم الإنسان)، دار علم المعرفة، د.ط، الكويت، 1986م .

16. قادرأبو بكر، رشيق حسن، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، دار واسل للنشر، د.ط، د.ب، 2019م.

17. كربخال مارمول، إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعارف الجديدة للنشر، د.ط، الرباط، 1989م .

18. لكلرك جيرار، الأنثروبولوجيا والاستعمار، ترجمة جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت-لبنان، 1990م .

19. لنتون رالف، الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، ترجمة عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية صيد، د.ط، بيروت، 1967م.

20. المغلي محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2002م.

21. نادر لورا، الثقافة والكرامة حوار بين الشرق الأوسط والغرب، ترجمة آيات عفيفي مؤسسة هنداوي، د.ب، 2015م .

22. الهواري عبدالقادر، الأنثروبولوجياالمستقبلية(مدخل لدراسة مستقبل الشعوب والجماعات)، ببلومانيا للنشر والتوزيع، د.ط، د.ب، 2020م .

المراجع بالفرنسية:

1- Fanny Colonna, Aurés/Algérie 1935-1936, Photographies de Thérése Riviére, Office des publications univeritires, paris .

2- Nora lafi, Présentation des annalés tripolitaines(laurent charles férand) editions bouchene, paris , 2005 .

3- Pereier (gean.ardré .napoléon), Des Rages Dites Berbéres et De leur ethno Génie ,Membre de la société et d'Anthropolgie, Typogrtphie A-hennuyer, paris, 1873 .

المقالات بالعربية:

1. ابرير حمودي، الهوية الوطنية الجزائرية في سياسة الاستعمارية الفرنسية في عهد نابليون الثالث (1852م.1870م)، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد06، العدد01، الجزائر،2021 م .

2. أقحيز عامر، المؤرخ شارل أندري جوليان ودوره في كتابة تاريخ الجزائر،مجلة قضايا تاريخية، العدد2، الجزائر، 2016م .

3. أنساعد سميرة، الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الفرنسيين خلال القرنين 19م و20م تسجيل فوتوغرفي أم تصوير تخييلي، مجلة الدراسات، العدد2، ديسمبر2012م.

4. بحري أحمد، ملامح التاريخ الثقافي للجزائر في العهد العثماني، مجلة الجزائرية للمخطوطات المجلد 8، العدد9، 2012م .

5. بريجة شريفة، استغلال الأعمال الأنثروبولوجية من طرف العسكريين الفرنسيين لصالح الاحتلال " السنوات الأولى من احتلال الجزائر"، مجلة آفاق فكرية، العدد1، جانفي2014م.

6. بن بوزيد لخضر، التنصير والاستعمار في إفريقيا بين القرن التاسع عشر والعشرين، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد10، جوان2016م .

7. بن جيلاني فلة، جرمان تيون الباحثة العلمية التي صنعتها الأحداث السياسية، مجلة البحوث السياسية والإدارية، العدد10، الجزائر.

8. بن عرفة إبراهيم، عالية بشيرة، قراءة في أنثروبولوجيا الجزائر من 1830م إلى1962م مجلة متون، المجلد11، العدد2، سبتمبر2019م.

9. بوحسون العربي، الإستشراق والأنثروبولوجيا والاستعمار، دراسة تحليلية لطبيعة العلاقة، مجلة الإنسان والمجتمع، العدد2، الجزء الثاني، ديسمبر2011 م.

10. بوطرفة شفيق، الجزائر في كتابات الرحالة الألمان ج.أو.هابنسترايت–انموذجا– ،مجله حوليات، العدد32، ج3، سبتمبر2018م.

11. بوقرين عيسى، قراءة تاريخية نقدية في الدراسات الأنثروبولوجية الاستعمارية ،مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد17، العدد01، الجزائر، جانفي 2021م.

12. مازن محمد مرسول، الأنثروبولوجيا نحو أناسة ممنهجة، مجلة الأنثروبولوجيا، المجلد 2015، العدد 01، العراق، 2015م.

13. بومزو عزدين، الأزمة البربرية لسنة 1949م، في تقرير سري للبوليس الفرنسي ،مجلة دراسات، المجلد13، العدد02، 2022م .

14. جوادي المسعد، عيسى بريهمات، المدن الصحراوية الجزائرية في أدب الرحلة الفرنسية بين التصوير والتنميط مدينة الأغواط –انموذجا– ،مجلة أبوليوس، المجلد09، العدد01، جانفي2022م .

15. حمودي محمد، صورة الجزائر إبان الاحتلال من خلال كتابات الرحال الألماني موريتس فاغنر، مجلة الموروث، العدد 02، الجزائر، 2013م .

16. حميد آيت حبوش، الكراغلة ودورهم السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، العدد5، 15 -03-2013م .

17. حنكة حواء. كركارعبد القادر، وصف الرحالة الأوروبيين للوضع السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات، المجلد15، العدد1، 2023م.

18. حياة طويل، التنصير في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي (1830م-1962م)، مجلة قرطاس، المجلد04، العدد01، جوان2017م.

19. خلفاوي عزيزة، السوسيولوجيا في الجزائر ومخلفاتها، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد6 عدد 17،2014 م.

20. خليفي عبد القادر، سياسة التنصير في الجزائر، مجلة المصادرالعدد9، المجلد6،العدد1، 2004 م.

21. درعي فاطمة، الأغواط من خلال الرسام الفرنسي أوجين فرومنتان، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية والحضارة، المجلد05، العدد01، الجزائر، 2023م.

22. دريوش سهيلة، الاستشراق الفرنسي بالجزائر مابين (1830م.1930م) لقراءة في مقال ل "هنري ماسي، تر.د.محمد يحياتن(رحمه الله)، مجلد08، العدد01 ،2017م.

23. دريوش وداد، الأثنولوجيا في الجزائر المستعمرة بين الاداعاءات العلمية والخلفيات الإيديولوجية، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد07، العدد2، 2021م

24. رفيق شلابي، التأثير الأندلسي المعماري خلال العهد العثماني "قسنطينة نموذجا"، مجلة الراصد العلمي، المجلد09، العدد01، جويلية 2022م.

25. زهرة محجوبي، المخططات العسكرية الفرنسية لاحتلال الجزائر(1741م-1830م) ، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد2، العدد1، جانفي2020 م.

26. ساعو بن محمد، قراءة في كتاب الجزائر ومعركتها مع الثالوث المدمر(التنصير والإستشراق الاستعمار)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد12، الجزائر، جوان2017 م.

27. سبوعي إلياس، أدب الرحلة الأوروبية كمصدر هام لتاريخ الجزائر في العهد العثماني(رحلة الألماني ج.أو.هابنسترايت نموذجا)، مجلة عصور جديدة، المجلد9، العدد3 نوفمبر2019م .

28. شويتام أرزقي، دور الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية (1519م-1830م) ، مجلة آفاق و أفكار، المجلد03، العدد04، 2013م .

29. شيباني يمينة، الجمعيات العلمية الجهوية ودورها في تأسيس المتاحف الأثرية بالجزائر خلال القرن19م، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، المجلد07، العدد01، الجزائر، 2012م.

30. صدوقي أمحمد، لجنة استكشاف الجزائر العلمية بين نشاطاتها البحثية وارتباطاتها الاستعمارية (1873م-1842م)، مجلة قضايا تاريخية، العدد14، جانفي2021م .

31. العربي بوحسون، بين التاريخ والأنثروبولوجيا-دراسة في الأنثروبولوجيا الاستعمارية- مجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد2، الجزائر، 2010 م.

32. عقون محمد العربي، الاثنوغرافيا الاستعمارية "شارل فيرو نموذجا"، مجلة إنسانيات مجلد9، العدد28، جوان2008م.

33. عيساوي محمد، التأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية الفصحى –بين الإنصاف والإجحاف – ، مجلة تاريخ العلوم، المجلد04، العدد07، مارس2017م .

34. غزالي عبد العالي، صورة الجزائر في مصادر الرحلة الغربية رحلة هابنسترايت- انموذجا، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد9، العدد1، مارس 2018م.

35. فضيل عبد القادر، محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي ومعاناتها بعد الاستقلال، مجلة اللغة العربية، المجلد07، العدد02، 2005م .

36. قبي بن عيسى، انطباعات حول مدينة المسيلة من خلال الرحالة الأوروبيون في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، مجلة القرطاس، العدد9، 2018 م.

37. قريتلي حميد، الزوايا والطرق الصوفية في السياسة الاستعمارية في الجزائر (1870م-1914م) ،مجلة الفكر، المجلد6، العدد2، المدية، ديسمبر2022م.

38. قشاشني علي، التوجه المعادي للغة العربية في السياسة الفرنسية بالجزائر "1871-1954"، مجلة آفاق علمية، المجلد12، العدد04، 2022م.

39. قندوسي سعدية، قراءة نقدية في تاريخ الأنثروبولوجيا، مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد1، العدد2، االجزائر، جوان 2019م.

40. كعوان فارس، الاثنوغرافيا الكولونيالية واختراق الفضاء القبلي الجزائري من خلال بعض أعمال بعض العسكريين الفرنسيين "شارل فيرو نموذجا"، مجلة المعيار، المجلد24، العدد50، 2020م .

41. كوسة نورالدين، دور الدراسات الأنثروبولوجية الاستعمارية في تفكيك البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد2، العدد3، 2007م.

42. محمد سحر ماهود، الموظفون العثمانيون في إيالة الجزائر(دراسة في أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية)، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 2، 2015م.

43. محمد مبارك كديدة، مجالات اهتمام الكتاب الغربيين بمناطق أقصى الجنوب الجزائري هنري دوفريي –انموذجا- ، مجلة آفاق علمية ، الجزائر، العدد11، 2016م .

44. مرموقة منصور، الأنثروبولوجيا والنزعة الاستعمارية الحديثة، مجلة التدوين، العدد1، الجزائر، 2016م.

45. مريخي رشيد، ملامح الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد5، العدد12، ديسمبر 2017م .

46. المشهداني حمد مؤيد محمود.رمضان سلوان رشيد، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518م–1830م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مجلد 5، العدد 16، 2013م .

47. معتوق جمال، دور الرحالة الفرنسيين في تدعيم خلايا الاستعمار في الجزائر، مجلة الخلدونية، مجلد11، العدد1، 2019م .

48. مياد رشيد، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ورد فعل الجزائريين اتجاهها 1830م–1954م، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد14، العدد1، 2022م.

المقالات باللغة الأجنبية:

1- AHOUARI zahir, portrait et analyse des écrits de melchior joseph eugéne daumas sur la kabylie du dix-neuviéme siécle, oussour Al jadida, N°11-12, february 2013-2014 .

2- Arnand(M), etude sur la soufisme par le cheikh abd hadi ben ridouane, in R.A, N°31, 1887.

3-ARNAUD, Histoire de l'ouali sidi Ahmed Et.Tedgani in R.A.N°8, 1861 .

4- Augstin Barbara, Germaine tillion une résistante que a traversé le siécle hommes migations, N°1273, 2008.

5-Berbrugger, Ruines de marabout de sidi abd kader sou maliana, in R.A ,N°8, 1864 .

6- L.CH. Férand, les descendants d'un personnage de mille et une nuit en algérie, in R.A, N°19, 1875 .

7-L.CH.Féraud, Ferdjioua et Zougha .Notes historiques sur province de constantine , in Revue Africaine , N°20 , 1878 .

8- L.CH.Féraud, Mœurs et coutumes kabiles, in Revue Africaine, N°6, 1862.

9- L.CH.Féraud, Ain beida, in R.A, N°16, 1872.

الأطروحات:

1. صدوقي أمحمد، النشاطات التاريخية والأثرية الفرنسية في الجزائر ودورها في تجسيد المشروع الإستعماري (1830م–1930م) ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبو قاسم سعدالله ، الجزائر، 2019م–2020م .

2. غرينةعبد النور، الأوراس في الكتابات الفرنسية ابان الفترة الكولونيالية(1840م-1939م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الأوراس الحديث و المعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر، 2009 - 2010م.

المواقع الإلكترونية:

1. بن صالح خالد، تيوفيل غوتييه ورحلته إلى الجزائر، متوفر على الرابط: https://www.alarabiya.net،تاريخ النشر 2021م، تاريخ الإطلاع1ماي2023م .

2. بوطقوقة مبروك، مارغريت ميد، متوفر على الرابط:

https://www.aranthropos.comتاريخ النشر 2021م، تاريخ الإطلاع 2جانفي2023م.

3. بوطقوقة مبروك، مقومات البحث الأثنوغرافي، متوفر على الرابط :

https://www.aranthropos.comتاريخ النشر 2023م، تاريخ الإطلاع20جانفي 2023م.

4. عدنان أمل، من هو كولومبوس، متوفر على الرابط: https://mawdoo3.com، تاريخ النشر 11أغسطس2016، تاريخ الإطلاع11 فيفري 2023م.

5. محمد بن عبد العزيز الفيصل، رحلة العالم النباتي شيمبر إلى الجزيرة العربية1836م ، متوفر على الرابط: https://www.al-jazirah.com ، تاريخ النشر06أبريل2020م ، تاريخ الإطلاع 1 ماي 2023م .

6. معتز عبد المجيد، روث بندكيت، متوفر على الرابط: https://www.bibalex.org تاريخ النشر25 اغسطس2016، تاريخ الإطلاع 15جانفي2023م.

الفهرس

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
صفحة الواجهة	
الشكر والعرفان	
الإهداء	
مقدمة	**أ-هـ**
الفصل الأول: رؤية عامة حول الأنثروبولوجيا والظاهرة الاستعمارية.	**07**
تمهيد	
المبحث الأول: نبذة تاريخية حول الأنثروبولوجيا.	**08**
المطلب الأول: علم الأنثروبولوجيا.	**08**
المطلب الثاني: نشأة الأنثروبولوجيا.	**12**
المبحث الثاني: الأنثروبولوجيا والظاهرة الاستعمارية.	**16**
المطلب الأول: إرهاصات الأنثروبولوجيا الاستعمارية.	**16**
المطلب الثاني: أطماع الأنثروبولوجيا الاستعمارية.	**20**
الفصل الثاني: الأنثروبولوجيا الاستعمارية بالجزائر النشأة والتطور	**24**
تمهيد.	
المبحث الاول: الأنثروبولوجيا والمنظومة الكولونالية.	**25**
المطلب الأول: حالة المجتمع الجزائري قبل الاحتلال في عيون الكتابات الغربية .	**25**
المطلب الثاني: الأنثروبولوجيا الكولونيالية وبداية اكتشاف الانسان الجزائري.	**33**
المبحث الثاني: نماذج حول الأبحاث الأنثروبولوجية الثقافية الفرنسية في الجزائر.	**40**
المطلب الأول: دراسات حول منطقة القبائل.	**40**
المطلب الثاني: دراسات حول منطقة الأوراس.	**46**

المطلب الثالث:دراسات حول منطقة الصحراء.	**50**
الفصل الثالث: أهداف المشروع الأنثروبولوجي الاستعماري على الجزائر.	**55**
المبحث الأول: إستراتيجيات المشروع المطبقة على الهوية الوطنية.	**56**
المطلب الأول: طمس الدين الإسلامي.	**56**
المطلب الثاني: اللغة العربية.	**61**
المطلب الثالث: التشكيك في الأصول العرقية للجزائريين.	**65**
المبحث الثاني: أبعاد المشروع الأنثروبولوجي .	**68**
المطلب الأول: التنصير.	**68**
المطلب الثاني: إثارة النزعة البربرية.	**70**
المطلب الثالث: محاولة نفي الدور الحضاري.	**73**
خاتمة.	**77**
قائمة الملاحق	**80**
قائمة المصادر والمراجع	**90**
الملخص	

الملخص

الملخص بالعربية:

لقد شكلت الأنثروبولوجيا منظومة معرفية تخدم النزعة الكونيالية وإيديولوجيتها ،وإن ميلاد هذا العلم ارتبط ببداية حركة المد الاستعماري الذي ظهر في أواخر القرن19م وبدايات القرن 20م، وهذا ما طبقته فرنسا مع الجزائر عن طريق إرسال بعثات استشكافية وإنشاء جمعيات مساعدة لذلك ،وضمت هذه البعثات "ضباط واللجان وعلماء أنثروبولوجيين" إلى الجزائر الذين اجراوا أبحاث ودراسات معمقة حول مناطق عدة من الجزائر مثل : "منطقة الأوراس والصحراء ومنطقة القبائل "، فقد حملت مذكراتهم وتقاريرهم أنماط الحياتية وأصول السكان والنظم والتشريعات المجتمع الجزائري ،بغية تقديم صورة واضحة المعالم عنه حتى تسهل عملية انقياده وتطويعه، وسعت كذلك الأنثربولوجيا الاستعمارية إلى زعزعة وحدة الشعب عن طريق ضربه في أعماق هويته راسخة تاريخيا حتي تفك رباطاته الانتمائية التي كان يستمد منها قوة مقاومته ومعارضته لوجود المحتل غريب على أرضه.

الكلمات المفتاحية :

الأنثروبولوجيا . الأثنوغرافيا . الأنثولوجيا . الظاهرة الاستعمارية . الدراسات الأنثروبولوجية الإيديولوجية الاستعمارية.

Résumé :

L’anthropologie a formé un système de connaissances au service du colonialisme et son idéologie, et la naissance de cette science a été associée au début du mouvement de marée coloniale qui est apparu a la fin du 19ème siècle après JC et au début du 20ème siècle après JC. qui a mené des recherches et des études approfondies sur plusieurs régions d’Algérie, telles que :la région Euras ,le Sahara et la région Kabylie, en le frappant au plus profond de son identité historiquement ancrée, jusque dans les liens d’appartenance dont il est issu . la force de sa résistance et son opposition a la présence d’un occupant.

Les mots clés :

Anthropologie -Ethnographie – Anthologie – phénomène colonial – Etudes anthropologiques – Idéologie coloniale.